علي الغاياتي

وطنيتي

وأشعار أخرى

الديوان الذى صودر فور صدوره وسجن بسببه الزعيم محمد فريد والشيخ عبدالعزيز جاويش وفر صاحبه إلى اسطنبول وجنيف.

مقدمة بتوقيع الزعيم: محمد فريد

مقدمة بتوقيع الشيخ: عبدالعزيز جاويش

دراسة

أحمد حسين الطماوي

الطبعة الرابعة

٢٠١٠

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة: ٤ ميدان حليم - خلف بنك فيصل
شارع ٢٦ يوليو - من ميدان الأوبرا
ت: ٠١٠٠١٠٤١١٥٠ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤
٠١٢٩٩٦١٦٣٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
١٤٠٦٤/ ٢٠١٠

تمهيد

ديوان وطنيتى من أشهر الدواوين الشعرية التى ظهرت فى العصر الحديث، وقد أدرك هذه الشهرة الذائعةَ لارتباطه بأحداث جسام مرت بها مصر، وله قضية جنائية ظاهرة تعرف «بقضية وطنيتى» التى سجن فيها الزعيم محمد فريد بك لكتابته مقدمة للديوان، وحبس فيها الشيخ عبدالعزيز جاويش بسبب كتابته مقدمة أخرى له، وفر بسببه ناظم الديوان الشيخ على الغاياتى، مِن وجه القضاء إلى الأستانة وجنيف.

وقد انشغلت الصحف الكبرى بهذه القضية التى أريق فيها حبر غزير عام ١٩١٠ وبعده، حتى صارت جزءاً من تاريخ الصحافة، فضلاً عن أن هذه القضية باتت فصلا مهما من فصول كتاب يؤرخ للحزب الوطنى الذى أنشأه الزعيم مصطفى كامل.

ولا يسرد مؤرخ سيرتىْ محمد فريد، وعبدالعزيز جاويش، إلا ؛«قضية وطنيتى» داخلة فيهما، لأنهما طرفان أساسيان فيها، مثل كتاب عبدالرحمن الرافعى عن محمد فريد، وكتابى أنور الجندى وحسن الشيخة عن عبدالعزيز جاويش.

كذلك ترجع أهمية هذا الديوان إلى أن الحديث عنه تجدد عدة مرات فى زمن طويل، فقد ظل حديث الصحف والمجالس فى عامى ١٩١٠ و١٩١١ أثناء نظر القضية، وصدور حكمين فيها، وما أن هدأت زوبعته حتى تجدد الحديث فيه على أثر نشر قصيدة للغاياتى عنوانها «عيد الكنانة.. عيد الأمير» فى مطلع عام

١٩١٢ تراجع فيها عن مواقفه السابقة، وعندما عاد الغاياتى بصورة نهائية إلى مصر عام ١٩٣٧، وأصدر جريدته «منبر الشرق» عام ١٩٣٨ حتى أخذ يخبر الناس بحقيقة ما جرى وكيف فر من مصر متنكرا فى الزى الإفرنجى.. وتواصلت ذكرياته فى قضية وطنيتى فى كثير من أعداد منبر الشرق.

ويشكل هذا الديوان المحور الرئيسى فى الكتب الكاملة التى نشرت عن على الغاياتى، كما أنه أحد أبواب كتابين صدرا عن «شعراء الوطنية» هما كتابا الرافعى ومختار الوكيل.

وقد كان الشاعر على الغاياتى يزمع نشر الجزء الثانى من ديوانه تحت اسم «هجرتى» أى ما قاله من شعر بعد فراره من مصر، ولجوئه إلى اسطنبول وسويسرا، ولكن هذا الجزء الثانى، أو ديوان «هجرتى» لم يصدر لا فى حياة الشاعر ولا بعد موته، وله قصائد متفرقة فى «منبر الشرق» وفى بعض الصحف القديمة، وقصيدة صغيرة فى كتابه «على هامش الحج» لا تكون ديواناً، وربما يكون هذا ما صرفه عن إصدار ديوان «هجرتى».

ولما كانت طبعة «وطنيتى» الأولى المصادرة عام ١٩١٠، والثانية عام ١٩٣٨، والثالثة عام ١٩٤٧، وجميعها نفد، فإننى رغبت فى إصدار طبعة رابعة منه كما نشر من قبل، وأضفت إليه فى ملحق منفصل أكثر من ثلاثمئة بيت من الشعر الذى قاله فى هجرته، وجعلت عنوانه «هجرتى» وهى تسميته. وللغاياتى قصائد أخرى قد تتاح لنا الفرصة لجمعها فيما بعد.

والله المستعان.

القاهرة في ٢٩ من مارس ٢٠١٠م **أحمد حسين الطماوى**

على الغاياتى وقضية وطنيتى

وُلد على الغاياتى فى مدينة دمياط سنة ١٨٨٥، وتلقى تعليما دينيا فى جامع البحر بدمياط التابع للأزهر الشريف، وظل فى دمياط إلى أن بلغ الثانية والعشرين من عمره، وكانت له تطلعات أدبية، فقد نظم قصيدة وهو فى دمياط نشرتها له جريدة «الوطن»، وبعد سنوات أعادت نشرها فى مناسبة قضية وطنيتى، وتكشف القصيدة عما كان يلاقيه من فقر وعوز وضيق، وقد انطبع ذلك فى القصيدة التى جعل عنوانها «إلى الله.. حرية الشكوى بين العبد وربه»، ويقول فيها:

خَلقت العباد وأرزاقهم — فمنهم سعيد ومنهم شقى

وقد ساء حالى بين الورى — كأنى يارب لم أُخلق

فإن أك عبدا فمَن رازقى — وها أنا للآن لم أرزق

ثم جاء إلى القاهرة عام ١٩٠٧، وحرر بجريدة «الجوائب المصرية» لصاحبها خليل مطران، ووقعت فتنة دينية فى دمياط، فكتب مقالات انتصر فيها للحق والعقل، وأنكر الخرافة والجهل، فدبر له المشايخ مكيدة، كان من نتائجها طلبه للقرعة العسكرية، والتحقيق معه، والزج به فى السجن مدة اثنى عشر يوما، ثم أُطلق سراحه.

وقد تجلت له فى أيام السجن قسوة الإنسان، ورغبة السّجان فى إنزال العذاب على السجين، وانصرافه عن الرحمة والرأفة، وترك ذلك فى نفسه آثارا ظلت تلازمه، وتغالبه، وتجعله يخشى السجن، ويستدفع أذاه.

وفى تلك الأثناء أخذ ينشر شعره منذ ١٩٠٧ فى «الوطن» و«المؤيد» و«الدستور»، ثم فى جرائد الحزب الوطنى مثل «اللواء»، واستطاع فى فترة وجيزة أن يكوّن صداقات مع مجموعة من الكتّاب والشعراء منهم عبدالرحمن شكرى ومحمد لطفى جمعة، وإمام العبد، وسليمان فوزى «صاحب مجلة الكشكول فيما بعد» وعبدالرحمن وأمين الرافعى، فضلا عن حافظ إبراهيم، وخليل مطران، وإسماعيل صبرى باشا، وبعضهم أعضاء فى الحزب الوطنى، وقد ذكر أسماء هؤلاء فى كتاباته، وهو يسرد ذكرياته.

وانتمى إلى الحزب الوطنى، ويقول فى أحد هوامش «وطنيتى»: «التحقت.. بالحزب الوطنى، واعتُبرت من أعضائه العاملين فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٧» بينما يقول إسماعيل حافظ صاحب امتياز جريدة «العلم»، فى التحقيق الذى أجرته معه النيابة فى قضية وطنيتى: «لم يكن، أى الغاياتى، إلا مصححا بسيطا بجرائد الحزب، منتميا إليه انتماء يبغى من ورائه الشهرة الذائعة والصيت الطائر دون أن يكون عضوا فيه»[١].

وربما يكون نفى إسماعيل حافظ لعضويته فى الحزب الوطنى أمام النيابة، لصالح القضية، وحتى إذا كان اسم الغاياتى غير مدون بسجلات الحزب، فإنه عاش سنوات فى كنفه، واختلجت مبادؤه فى نفسه، مع ظهور انقياده لزعمائه، وكل هذا يجعله من أفراد الحزب. وكان الحزب الوطنى زمن مصطفى كامل ومن بعده محمد فريد ومعهما أحمد لطفى وعبدالعزيز جاويش، محبوبا من الشعب، وكان المثقفون والطلاب المتعلمون، والحاصلون على الشهادات العالية يجدون ملاذهم فيه، هذا إلى جانب أن صحفه كثيرة منها «اللواء» و«العلم» و«الشعب» وغيرها، وكل هذه الجرائد فيها كُتّاب ولها قراء، ومن هنا كان الحزب يمثل رعبا للحكومة والخديو والإنجليز وبخاصة فى زمن ما عرف بالوفاق بين عباس وغورست.

(١) جريدة البلاغ المصرى ١٩/٧/١٩١٠.

لا أريد أن أكتب تاريخا للحزب الوطنى، وإنما أرغب فى القول أن مكانة الحزب هذه جعلت الغاياتى شجاعا قويا، يترجم الأحداث السياسية والمنسبات الوطنية شعرا حماسيا ثوريا، ولا يجفل أو يتخاذل، أو يهاب الحكومة أو الخديو أو الإنجليز.

وبينما كان الشعراء أو معظمهم يسيرون على وتيرة واحدة فى قصائدهم المادحة والمهنئة للخديو كلما واتت مناسبة، إرضاءً له، أو طمعا فى عطائه، نجد الغاياتى لا يتخشع له، ويخاطبه بشعر عاطل من المدح، يمثل أفكار الحزب، ويعتب عليه، غير مقدر لمكانته السامية مثل قوله:

أعباس هذا آخر العهد بيننا — فلا تخش منا بعد ذاك عتابا

ايرضيك فينا أن نكون أذلة — ننال إذا رمنا الحياة عقابا

رويدك ياعباس لا تبلغ المدى — إلى آخره

ويتهجم على الحكومة، ويرميها بألفاظ السباب، وبالشتم الصادع، وينقم عليها قائلاً:

ألا أمطر اللهُ الوزارةَ نقمةً — ولا بلغت مما تروم مراما

ويتحرش بالإنجليز كثيراً وينعتهم بالنعوت الذميمة، والأوصاف المعيبة مثل الظلم والاغتصاب، وزاد فى التحرش بهم بالنظم فى «دنجرا» الطالب الهندى الذى قتل وزيراً إنجليزيّاً فى حكومة الهند، وحكم عليه بالإعدام، فقد حيّاه قبل إعدامه، ورثاه بعد موته، ووصفه بالشجاعة والشهامة والقوة والغيرة على وطنه، وقال فى رثائه.

دفعتك الحياة للموت حتى — لم يردعك القضاء والإعدام

مت بالأمس، والممات حياة — خلدتها لذكرك الأيام

فلم يستنكر مقتل الوزير الإنجليزى، وإنما أرسل التحية إلى قاتله، وهو بهذا يؤيد الكفاح المسلح ضد المحتل.

وهو لا يعبأ بالتحذيرات الحكومية، ولا تُروع نفسه إذا أهملها، ومضى إلى غايته دون اكتراث، فعندما قَتل إبراهيم الوردانى رئيس الحكومة بطرس غالى لأسباب سياسية، حظر على الناس ذكر الورد أو الوردانى، حتى إن شاعرا نظم قصيدة فى ورد الربيع فجرى تحقيق معه، فى هذا الجو المضطرب نظم الغاياتى أكثر من منظومة فى حادث القتل هذا ومما قاله:

طلقــات نـار أم صعــان مــهـنـد — أودت ببطرس من يد الوردانى
وافـاه إبـراهيـم مـجـتـرئا عـلى — مـا كــان من بأس ومن سلطان
ورمـاه عن كـثب بسّت عـجلت — خطوات عـزرائيلَ بالأكـفـان

وعندما حكم القاضى بإعدام لوردانى، أشاد الغاياتى بثباته وهو يسمع إلى الحكم، فجرأة الغاياتى هذه وعدم مبالاته، مردها إلى انتسابه إلى الحزب الوطنى، ومكانته الراسخة، ولم يكن يتصور أن الشرطة يمكن أن تطارده، وتقفو أثره إلى أن تقبض عليه؛ لذلك أرخى العنان. لقلمه الوثاب، وكان يقول: « .. لدى يراع لا يهاب نضالا » فلا شك أن كان ينظم قصائده الهجائية والهجومية بحرية وهو فى حمى الحزب الوطنى، ويمكن أن نضيف إلى ذلك سببا آخر، وهو رغبته فى مسايرة الرأى العام، والتعبير عما يجيش فى النفوس، ثم إن زعماء الحزب الوطنى، كانوا يسعون فى خطبهم وصحفهم إلى إثارة الجمهور، وحفزه على مقاومة الاحتلال، وكان شعر الغاياتى الحمسى يتماشى مع كل ذلك لنزعة وطنية فيه.

صدور وطنيتى

نشرت قصائد « وطنيتى » فرادى فى الصحف دون أن تثير قلقا أو بلبلة، ودون

اعتراض من الحاكمين وولاة الأمور، ورغب الغاياتى فى جمعها، وإصدارها فى ديوان، مثل أى شاعر فى زمنه، واختار لها عنوان « وطنيتى » وربما تكون كلمة « وطنية » هنا مأخوذه من اسم « الحزب الوطنى » الذى اعتقد الغاياتى أنه أحد جنوده المناضلين، وكانت دواوين تلك الفترة تنشر مصدرة بمقدمة لرجل مشهور، فتطلع المترجم إلى الزعيم محمد فريد، وعبدالعزيز جاويش، ليتفرد ديوانه بهذه الميزة الكبيرة، فقد كان الرجلان لهما وقعهما المؤثر فى مختلف الأوساط الصحافية والثقافية والسياسية والجمهور العادى، ولم يكسفا الغاياتى، وبخاصة أن الديوان من الشعر الوطنى الذى سبق نشر معظم قصائده فى صحف الحزب.

وتقديم محمد فريد للديوان هو كلام ناقد له رأى فى الشعر يطرحه، ومن الطبيعى أن ينأى زعيم سياسى مثله عن شعر الرومانتيكية الانطوائى الأليم وشعر المدح والتفخيم، ويدفع إلى شعر الوطنية الذى يوقظ العواطف بالحماسة ويعلو بالنفس إلى مستوى المسئولية. أما الشيخ جاويش فلم يكن تقديمه إطراء وثناء على الديوان، وإنما انصرف حديثه جاء إلى شعر الطبع، وشعر الصنعة والصدق الفنى وأثر ذلك فى النفوس، ولعله سبق النقاد والشعراء، الذين تحدثوا فى هذه النقاط فيما بعد، أى أن حديثه موضوعيا يختص بالشعر مع إشارة الكاتبين إلى « وطنيتى » إشارة سريعة خاطفة دون ذكر لاسم الشاعر وانطلق الغاياتى فرحا بهاتين المقدمتين وبالديوان إلى مطبعة صاحبها فرنسى اسمه كستيولا يطبعه، وقيل إن سبب اختياره لهذا الفرنسى هو عدم مصادرة الديوان قبل الفراغ من طبعه، وهى حجة واهية، لأنه حسب اعتقادى، أن الغاياتى لو كان عنده هاجس باحتمال المصادرة، لامتنع عن طباعة ديوانه، وإنما قد تكون أسعار كستيولا أرخص أو اشيع عنه أن طباعته أكثر إتقاناً من غيره، فأقبل عليه. علي أية حال انتهى طبع الديوان يوم ٢٤ من يونيو سنة ١٩١٠، وأهديت منه نسخ إلى عديدين كالعادة، من بينها نسخة سلمها الغاياتى بيده إلى الشيخ على يوسف.

وكانت هناك منافسة شديدة بين الحزب الوطنى بزعامة فريد بك وحزب «الإصلاح على المبادئ الدستورية» برئاسة الشيخ على يوسف، وبالتالى هناك منافسة بين جريدة «المؤيد» الناطقة بلسان حزب «الإصلاح» وبين جرائد الحزب الوطنى، إلى جانب أن على يوسف كان على ولائه للخديو، أما الحزب الوطنى فقد نبذ الخديو ونحاه بعد الوفاق الذى جرى بينه وبين المعتمد البريطانى، وفضلاً عن ذلك وجد على يوسف نفسه مسبوبا فى ديوان الغاياتى، فأراد الانتقام من الجميع، وكتب مقالا مطولا فى «المؤيد» بتاريخ ٤ /٧ / ١٩١٠ قال فيه:

«زارنا منذ يومين حضرة الشيخ على الغاياتى المحرر بجريدة العلم، وقدم لنا نسخة من كتاب شعرى، وضعه حديثا بعنوان وطنيتى، وقال أقدمه إليك، وإن كان بلهجة حزب لا ترضيك لهجته، فقابلته بحسن القبول، وعزمت على أن أقرظه كما يستحق أديب مثله يحسن الشعر، ويعمل كما نعتقد لإحياء الشعور الوطنى.

«وأردت اليوم أن أقرظه بعدما فرغت من مهام مواضيع الجريدة حتى يكون للقلم حظه من الأدب، بعد حظه من السياسة، ففتحت الكتاب، وأول ما وقع نظرى عليه من الصفحة ٤٦ قول هذا الشاعر المجيد:

ياليت شعرى هل رأيت كما أرى   أن المؤيدُ معهد الهفوات

فنشرت فيه ما نشرت وإنما   هى زلة من أكبر الزلات

فاستوقفنى هذا السباب الموجه إلى المؤيد هنيهة، وقلت لعل حضرة الشيخ أراد أن يوجه لى هذا الكلام مشافهة بتقديم الكتاب، كما فعل شاعر آخر له وطنيات لا تقل فى الحماسة والبلاغة عن وطنية هذا الشيخ.

ولكنى رجعت، وقلت لعل ذلك الزائر لم يقصد هذا وإنما قصد أن أدل قراء المؤيد على شىء من آيات وطنيته البينات».

«وماذا يضر المؤيد لو كان فى يوم من أيامه على لهجة مثل لهجة العم على حساب غيره، فبعد الاستئذان من قانون المطبوعات، وبعد الاستعاذة من القوانين الجديدة، وبعد الإعلان بأنه لا اتفاق بين المؤيد والشيخ على الغاياتى نستعيد قلمه وشعره وفكره ساعة من الزمان، قال حفظه الله تحت عنوان وطنى يناجى ربه ص٣٤ من كتابه..» ونقل الأبيات ثم أخذ يتنقل بين قصائد الديوان، وينتخب الأبيات التى تستفز الحكومة، وتكون موضوعا للتحقيق والمحاكمة، وقال لغاياتى أكثر من مرة أن الشيخ على يوسف «كتب عقب ظهور وطنيتى عرضا للحكومة على هذا الديوان، وعلى مؤلفه مما حمله على الهجرة من مصر، ومهد الطريق للقضية الشهيرة باسم وطنيتى»(١).

مصادرة الديوان وفرار الغاياتى

بعد مقال على يوسف بوقت قصير جداً، أخذت الشرطة فى جمع نسخ الديوان ومصادرته، وكان ثمنه قرشين، فارتفع إلى جنيه، وفى نحو يوم ١٠/٧/١٩١٠ طلب عطوفة محمد سعيد باشا القائم مقام خديوى، جميع الأوراق التى لها علاقة بكتاب وطنيتى للشيخ على الغاياتى ليطلع عليها بنفسه، فأرسلت إليه، وقد أخذت محافظة العاصمة أول أمس «أى فى ١٠/٧/١٩١٠» صورة الشيخ على الغاياتى عن صورته الأصلية الموجودة بكتاب وطنيتى، ووزعتها على رجال البوليس السرى لتساعدهم فى البحث عنه وضبطه»(٢).

وفى الوقت الذى كانت الشرطة السرية للعاصمة تبحث عن الغاياتى، كان هو خرج من مصر، وفى طريقه إلى إسطنبول يوم ٦/٧/١٩١٠.

ونشرت جريدة «البلاغ المصرى» أن مندوب جريدة «المقطم» فى الأستانة

(١) منبر الشرق ٩/١/١٩٥٣.

(٢) البلاغ المصرى ١٢/٧/١٩١٠.

اجتمع بعلى الغاياتى، وأخذ منه نسخة من ديوانه، وأن الغاياتى «أخبره بأنه طبع منه ألفى نسخة، وزع منها قبل سفره ستمائة والفا، أما طريقة سفره فهى أنه جاء يوم الثلاثاء إلى غرفته، فأُبلغ أن مأمور القسم جاءه سائلا عنه، فأحس بالخطر المحدق به، فقصد أناسـ طلب منهم مالا للسفر، وأخبرهم بجلية الخبر، فأعطوه، وقال لأهل المنزل، قولوا للحكومة إذا سئلت عنى، أننى قصدت «دمياط»، وركب القطار إلى الإسكندرية، فغير ملابسه، ولبس طربوشا بدلا من العمامة، وثوبا أفرنجيا، وقصد الباخرة الخديوية، وبينما هو سائر فى الطريق التقى بكبير رجال الضبط، فخاف أن يعرفه، وكان معه كتاب من صاحب جريدة دار الخلافة التى تطبع هنا لوكيله يقول له فيه أن يأذن له فى تحرير الجريدة منذ وصوله، فمزق الكتاب حتى إذا قبضت الحكومة عليه لا تتهمه بالفرار من وجه القضاء، إلا أن الرجل لم يعرفه، لأنه كان قد غير ملابسه، فركب الباخرة، وقدم الأستانة حيث يقيم فيها منذ أسبوع و عشرة أيام، وقد عينت له إحدى الصحف المصرية راتباً يأخذه ما بقى هنا»(١)

وفرار الغاياتى السريع فى غضون يومين (منذ كتابة على يوسف مقاله ضد الديوان فى ٤ /٧/ ١٩١٠ ومغادرته لمصر فى ٦ /٧/ ١٩١٠) إلى جانب حصوله على خطاب من صاحب صحيفة «دار الخلافة» الموجود فى القاهرة ساعتئذ ليحرر فى الصحيفة ساعة وصوله، يثير عدة تساؤلات على درجة كبيرة من الأهمية فكيف استشعر الخطر؟ وكيف قرر الفرار؟ وكيف حصل على خطاب من صاحب صحيفة دار الخلافة ليحرر فيها؟ يقول الغاياتى فى قصيدته «عيد الكنانة.. عيد الأمير».

الحزب يدعو والهدى يسرى به ... وحجاه بين مضلليه شريد

حتى إذا القانون رام قصاصه ... قالوا ارتحل عنا وسوف تعود

(١) البلاغ المصرى ٢٦ /٧/ ١٩١٠.

قم لا تقم فى مصر واعص قضاءها إنـا وإن لـم تـبـغ ذاك نـريـد
هذى مشيئتنا فهاجر يا لها من هجرة لك بعدها التمجيد
فمضى إلى دار السعادة مكرها والشيخ يقسم أنه لسعيد

ومفاد هذه الأبيات أن الكبار البارزين فى الحزب الوطنى مثل الشيخ عبدالعزيز جاويش هم الذين زينوا له الفرار من مصر، بل دفعوه إلى هذا دفعا، ومن الجائز أن الحزب الوطنى استشعر الخطر عن طريق مخبريه الصحافيين، وبطرقه الخاصة، ورأى إبعاد الغاياتى إلى الأستانة لصالح القضية، كذلك فإنه من المستبعد أن يكون الغاياتى، وهو فى باكورة العمر على اتصال وثيق، وعلائق قوية بأرباب صحف الأستانة، وله نفوذ عندهم ليحصل على إذن فى الحال من صاحب «دار الخلافة» بالتحرير فى صحيفته، والراجح أن يكون الشيخ جاويش هو الذى حصل على هذا الخطاب وزود به الغاياتى ليطمئنه، لأنه هو المتردد بين القاهرة واسطنبول، والصديق لأصحاب الصحف، وقد يعزز أقوالى هذه قول مراسل «المقطم» عينت له إحدى الصحف المصرية راتبا يأخذه ما بقى هنا» أى فى الأستانة وهو ما صرح به الغاياتى لمكاتب المقطم، فهذا الراتب زيادة فى طمأنته، إضافة إلى ما سيأخذه من دار الخلافة ليتشجع ويرحل، أما إحدى الصحف المصرية هذه التى ستبعث إليه بالراتب المقرر، فالراجح أنها جريدة «العلم» لسان حال الحزب الوطنى، والجريدة التى كان يعمل بها الغايتى مصححا، ويحررها الشيخ عبدالعزيز جاويش، وكل هذا يعنى أن فرار الغاياتى كان بتدبير من كبار أعضاء الحزب الوطنى وعلى رأسهم جاويش واستثنى من هؤلاء الكبار محمد فريد لأنه سافر إلى أوروبا منذ ٥ مايو ١٩١٠، أى قبل أن تظهر هذه المشكلة بنحو شهرين، أما تمزيق الغاياتى خطاب صاحب دار الخلافة فلا يعنى فشلا، فعند وجود مشكلة يمكن حلها بالبريد أو بالبرق أو بالتليفون أو بأى وسيلة أخرى.

التحقيق مع جاويش

كان الشيخ عبدالعزيز جاويش رجل مبادئ، وكاتبا موهوبا مقنعا لقارئيه، وخطيبا قوى التأثير فى سامعيه. وعندما تولى تحرير «اللواء» ألهب المشاعر الوطنية، ثم حرر «العلم» فأنهض العزائم، ولم يكن يناور وإنما يهاجم، فضاقت به الأجهزة الحاكمة، وانتحلت الأسباب لإرهاقه نفسيا بتقديمه إلى المحاكم، فحوكم بسبب مقال «دنشواى خرى بالسودان» وبرأته محكمة الاستئناف، عام ١٩٠٨ وحبس ثلاثة أشهر بسبب مقال «ذكرى دنشواى» عام ١٩٠٩، والمحاكمة الثالثة كانت بسبب كتابته مقدمة لديوان «وطنيتى» كما ذكرنا، وجرى التحقيق معه.

استدعاه رئيس لنيابة على توفيق فى أيام ١٢ و١٣ و١٧/٧/١٩١٠، وعندما سأله «أنك قلت فى كلمتك التى كتبتها فى مقدمة كتاب الغاياتى أن أشعار الغاياتى تنهض الهمم، فهل كنت تعتقد عندما كتبت أن هذه الأشعار حقيقة تنهضها، فأجاب: إنما هى كلمة كتبتها من قبل المجاملة، ولا يخفى على الخبيرين بأساليب اللغة العربية أن كل ما يكتب فى المدح والرثاء والذم ليس حقيقة، وأكثره مبالغ فيه.

«فسألته النيابة: لقد قلت إن شعر الغاياتى شعر عادى أى يؤثر التأثير المطلوب منه، فأجاب بأن هناك فرقا بين لشعر العادى، والشعر السهل، فالشعر العادى الذى ليس فى طبقة من البلاغة بحيث تدفع الكتّاب والرواة والحفاظ إلى العناية به، والاهتمام بأمره، أما السهولة لاسيما الممتنعة فإن هذه طريقة لا يبلغها من الشعراء والكتّاب إلا القليل»[١].

وهى أسئلة وأجوبة أدبية، وردود الشيخ جاويش ترضى أساتذة النقد، وجهابذة الأدب، وجميع القراء فضلا عن الكتّاب الذين يدركون مقدار الخيال

---

(١) البلاغ المصرى ١٩ / ٧ / ١٩١٠.

والمبالغة فى الأقوال الشعرية، فما بال النيابة لا تدرك ذلك؟ وإذا لم يكن فى الكلام قدر من خيال ومبالغة مقبولة، فكيف يصير أدبا مؤثرا؟ على أن مثل هذا الكلام لا يستحق تحقيقا ومساءلة ومحاكمة.

وأنكر الشيخ جاويش فى هذه التحقيقات اطلاعه على ديوان الغاياتى، وقال إنه لو اطلع عليه ربما أقره كله أو بعضه أو لم يقر منه شيئاً.

وفى اليوم التالى للتحقيق شنت جريدة «المقطم» هجوما لاذعا على الشيخ جاويش، وقالت إنه تبرأ من مبادئه، وتنصل من أفكاره، وأنه فقد احترام أصحاب المقطم.

وعبدالعزيز جاويش صحفى، أى زميل لأصحاب المقطم «المحترمين»، وكان عليهم أن يقولوا كلمة خير، أو على الأقل أن يلتزموا الصمت، ولكنهم يحبون الجنازات ليشبعوا لطما فيها.

وقد دافعت جريدة «البلاغ المصرى» الوطنية عن الشيخ قائلة: «كان المقطم يريد أن يقول الأستاذ أمام النيابة، نعم إنى أقر كل ما جاء بكتاب الغاياتى وأعتبر هذا تلميذا لى حتى يظل فى أعين المقطم شريفا محترما»[١].

والحقيقة أن قصائد الغاياتى نشر بعضها فى «المؤيد»، و«الجوائب المصرية» و«الدستور» وهى جرائد خارجة عن نطاق الحزب الوطنى، ومن المحتمل أن يكون جاويش قد قرأها أو لم يقرأها، وبعض القصائد منشور فى جرائد الحزب الوطنى فى الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩١٠، وربما يكون جاويش طالع هذا الشعر ونسيه، فأى رئيس تحرير يتذكر كل ما نشر فى جريدته اليومية على مدى سنوات، ولم يكن الغاياتى فى ذلك الوقت هو شاعر العصر، حتى لا تنسى قصائده لعصماء، كما لم يكن الشاعر الوحيد فى ذلك الزمن حتى أنه يبقى فى الذاكرات، فأنهر الصحف حافلة بالشعر من كل نوع، وحتى لو كان جاويش تذكر شيئا من هذا

(١) جريدة البلاغ المصرى ٢٠/٧/١٩١٠.

الشعر، فإن هذه القصائد لم تثر جدلاً أو معارضة، نضيف إلى ذلك أن الشيخ كان يتردد بين القاهرة واسطنبول، ويبقى هناك فترة تقصر أو تصول وكان يسجن وهذا يعنى أنه لم يقرأ بعض هذا الشعر فى غيابه، ثم إن الشيخ لم يتطوع من تلقاء نفسه لتقديم الديوان، وإنما الغاياتى هو الذى كان يجرى وراءه ويلهث، وعلى ذلك لم يكذب الشيخ جاويش على النيابة، وإنما المقطم عدو الحزب الوطنى وكل وطنى لا تريد أن يسجن الشيخ بل تضرم فيه النار.

البلاغ تهاجم الغاياتى

وفى أعقاب التحقيق مع جاويش هاجمت «البلاغ المصرى» على الغاياتى، واتهمته بأنه دسيسة على الحزب الوطنى، وأن الشيخ على يوسف يحركه، وأنه أى الغاياتى دس المقدمة التى كتبها بخط يده فى ديوانه، ليتحرك عقرب المؤيد أو الشيخ على يوسف، وينال من محمد فريد وجاويش، وقالت: «إن قضية الغاياتى هى قضية الشيخ على يوسف، هى قضية جاسوسيته، ودناءته، وقد آن أن نتخلص من المواربات والأكاذيب».

«من ذا الذى أوحى إلى الشيخ الغاياتى أن يسأل محمد بك فريد والشيخ عبدالعزيز جاويش، مقدمة لديوانه الذى كان مضمونه مجهولا.. هو عقرب المؤيد ومن الذى توسط للغاياتى فى أمر هذه المقدمة.. هو عقرب المؤيد، ومن ذا الذى أسرع بعد طبع المقدمة إلى الوشاية بصاحبها، وإبلاغ أمرها إلى الاحتلال هو عقرب المؤيد.. هذه حقائق تؤلم.. فلنشفق على الاحتلال الذى يستخدم مثل هؤلاء الجواسيس ليتحرشوا بالناس ويبلغوه عنهم ما يبلغونه..».

ولا أظن أن ذلك كان صحيحا، لأن تسلسل الأحداث، ومعطيات الواقع تنكر أن يكون الغاياتى جاسوساً أو دسيسة من على يوسف على الحزب الوطنى وقياداته، وإنما هى فرية و نتحال اخترعهما أمين الرافعى المهيمن على جريدة

«البلاغ المصرى»، لإنقاذ فريد بك وجاويش، ولم يفلح هذا الافتراء، وإنما أدى إلى فتور العلاقة بين الغاياتى، وكل من أمين وعبدالرحمن الرافعى.

على أن الغاياتى لم يقف صامتا أمام هذا الاتهام الشنيع، فبادر إلى تكذيبه، ودافع عن محمد فريد وجاويش، دفاعا منطقيا وحقيقيا، وأعلن عن تحمله للمسئولية، وأرسل مقالة للأهرام، ونقلتها عنها البلاغ المصرى يقول فيها:

«أما والله أنهما (فريد وجاويش) لأبعد عن سوء ما يظنون، وأبرأ الناس من أسرارى وغاياتى، ماذا جنيا وقد جئتهما راجيا أن ينفحانى بكلمات من كلماتهم الحكيمة فى الشعر وتأثيره فى تربية الأمم قائلاً عن حسن نية لهما: إننى سأجمع ما نظمته فى الحوادث الوطنية فى كتاب أسميه وطنيتى، وقد شئت أن يكون لكتابى ميزة بقولكما وخطكما ورسمكما.. فعسى أن تجيبا رجائى بعد ذلك، وقد سألتهما إجابة هذا الرجاء المرة بعد المرة حتى أجاباه ولم يريدا أن يجعلا كلمتيهما تقريظاً بحتا لكتاب لم يعرفا من محتوياته إلا قليلاً، بل سلكا مسلك الحكمة فيما كتباه ليكون عام النفع، وعطفا على ذكر كتابى فى غضون القول، عطفا على وجه الاستطراد، هذا ما كان من أمرى معهما، وما كنت أحسب أن الحكومة تتذرع إلى غرضها منهما بجعلهما شريكين لى فى تهمة أراد المؤيد أن يكيد لى أو للحزب الوطنى بها فألفى من الولاة سميعا مجيباً، هذا ما أقوله بمناسبة ما قرأته فى صحف مصر عن هذه القضية التى ما كنت أحسب لها حسابا.. والله يعلم أنهما لا يُسألان عن شىء حواه، ولا يدريان غير أنموذج صغير مما سبق لى نشره.. فى جرائد الحزب الوطنى»[1].

وهذه الجمل والفقرات المبتورة من المقال، تكشف عن حسن نية الغاياتى، وتبين حقيقة ما جرى، فهو الذى سعى إلى فريد وجاويش ليكتبا له مقدمتين،

(١) الأهرام فى ٢٦/٧/١٩١٠ والبلاغ المصرى فى ٢٧/٧/١٩١٠.

والمقدمتان جاءا فى فن لشعر ووظيفته، وليسا فى تحسين الديوان، وأن الكاتبين بريئان مما نُسب إليهما، وإنه لم يكن متواطئا مع على يوسف ضد الحزب الوطنى، فضلاً عن إنه لم يكن يتوقع أن ديوانه سيقع تحت طائلة القانون، هذا مع إدراكه أن الحكومة تعللت بهاتين المقدمتين لتنال من الحزب الوطنى وقياداته وكل هذا صحيح، وهذه المقالة بيان شامل للقضية. وإظهار لما خفى فيها، وغربلة لحوادثها.

عريضة الاتهام

على أية حال، كانت الحكومة فى عجلة من أمرها، لإنزال العقوبة بالمتهمين فأعدت النيابةعريضة الاتهام، وأعلنت الذين رأت محاكمتهم وهذا نص الإعلان: نحن رئيس النيابة العمومية بنيابة محكمة مصر الأهلية بعد الاطلاع على المادة «١» من القانون نمره ٢٧ سنة ١٩١٠ نكلف أحد محضرى المحكمة بأن يدعو:

١- الشيخ على الغاياتى المصحح بجريدة «العلم» غير المعلوم له محل إقامة الآن بالقطر المصرى.

٢- الشيخ عبدالعزيز جاويش المحرر بجريدة «العلم» والمقيم بالعباسية بمصر بجهة ميدان الحربية بملك الشيخ عبد لرزاق عوض.

٣- الشيخ محمد حسن القزوينى اموظف بقلم تحرير «العلم» ومقيم بشارع الموسكى بملك محمد عزيز بأول سوق الكانتو بقسم الجمالية.

٤- إلياس أفندى دباب صاحب مكتبة التأليف، وساكن بالفجالة بجوار كنيسة الأروام، إلى الحضور أمام محكمة جنايات مصر بسراى المحكمة من يوم السبت ٦ أغسطس ١٩١٠ الموافق أول شعبان ١٣٢٨ الساعة ٨ أفرنكى صباحا لمحاكمتهم، الأول بمقتضى المواد ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٥٦ - ١٥٩ - ١٦٠ من قانون العقوبات لوضعه ونشره كتابا يسمى وطنيتى، ويشتمل على

قصائد ومنظومات يتضمن بعضها التحريض مباشرة على جناية القتل «صحيفة ٥-٣٤-٣٨-٦٠-٦١-٦٢-٩٢-١٠١-١٠٢.

وبعضها التحريض على كراهة الحكومة، والازدراء بها صحيفة ٣٤-٥٦-٥٧-٦٧-٦٨-٧٣-٧٤-٧٥-٧٧، وبعضها تحسين الجريمة التى كان ارتكبها الشيخ عبدالعزيز جاويش، وحكم عليه من أجلها فى العام الماضى وغيرها صحيفة ٦٠-٦١-٦٢-٦٨-٦٩-٧٠-٧١-٧٢-٩٢-١٠١، وبعضها العيب فى حق ذات ولى الأمر، صحيفة ٥٥-٥٦، وبعضها إهانة ناظر الحقانية بصفته موظفا عموميا، صحيفة ٦٣-٦٤، وبعضها إهانة هيئة الوزارة والمحاكم، صحيفة ٥٦-٦٨

وقد طبع هذا الكتاب ونشر بمصر، وضبط فى يومى ٦و١١ يوليه ١٩١٠.

والثانى بمقتضى المواد المذكورة لوضعه مقدمة للكتاب المذكور تتضمن تمجيده، وتحسينه، والحض على قراءته وبذلك يكون مسئولا عن الجرائم المبينة آنفا، إما بصفته فاعلا أصليا مع الشيخ على الغاياتى لإتيانه عملا من الأعمال المكونة لهذا الكتاب، وهى المقدمة المذكورة التى طبعت ونشرت فيه وذلك طبقا للفقرة ٢٥ من المادة ٣٩ من قانون العقوبات، وإما بصفته شريكا فيها، وذلك بمساعدة الفاعل مع علمه بالجريمة على ترويج ونشر هذا الكتاب بوضعه هذه المقدمة له طبقا للمادة ٤٠ فقرة ٣ من قانون العقوبات، أو عن جريمة تحسين وتمجيد وضع هذا الكتاب، ونشره وهى المعاقب عليها بالمادة ١٥٤ من قانون العقوبات.

والثالث والرابع بمقتضى المواد المذكورة آنفا بأنهما نشرا الكتاب، المذكور بأن باع الأول منه عدة نسخ للثانى بقصد بيعها، وهذا أعدها للبيع، وباع منها لأشخاص آخرين، وذلك بعد العلم بطبعه بمعرفة الحكومة منعا لانتشاره، وبذا يكونان مسئولين عن الجرائم المتقدم ذكرها بصفتهما فاعلين أو شريكين بمقتضى الفقرة ٣ من المادة ٤٠ من قانون العقوبات(١).

(١) البلاغ المصرى ٢٧/٧/١٩١٠.

الحكـم

فى يوم ٦ /٨/ ١٩١٠ نشرت جريدة «البلاغ المصرى» صورة الشيخ عبدالعزيز جاويش فى القسم الفرنسى من الجريدة، وصورة الشيخ على الغاياتى فى القسم العربى، ونشرت ترجمتيهما، وكانت البلاغ المصرى عبارة عن قسمين: فرنسى وعربى، ومحررها أمين الرفعى، وفى حالة غيابه يحل فى رئاسة تحريرها أخوه عبدالرحمن الرافعى، وكان مدير الجريدة فرنسى اسمه البان دويروجان، والظاهر أنه كان مشرفا على القسم الفرنسى، وقد نشرت الجريدة صورتى جاويش والغاياتى وترجمتيهما بمناسبة تقديمها للمحاكمة يوم ٦ /٨/ ١٩١٠، وفى اليوم التالى أى يوم ٧ /٨/ ١٩١٠ نشرت الجرائد ما جرى أثناء المحاكمة، ووقائع القضية وحيثيات الحكم، ونظراً لطول كل هذا نذكر ما حكمت به المحكمة:

«حكمت المحكمة غيابيا بالنسبة للشيخ على الغاياتى، وحضوريا على الشيخ عبدالعزيز جاويش والشيخ القزوينى وإلياس دياب افندى، **أولا**: بمعاقبة الشيخ على الغاياتى بالحبس مدة سنة مع التشغيل مع براءته من تهمة التحريض على القتل، **ثانياً**: بحبس الشيخ عبدالعزيز جاويش مدة ثلاثة أشهر حبسا بسيطا، **ثالثاً**: بمعاقبة كل من الشيخ محمد حسن القزوينى والياس أفندى دياب بالحبس مدة شهرين وبإيقاف تنفيذ هذا الحكم الآن طبقاً للمادة ٥٢ و٥٣ عقوبات.

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة فى يوم السبت ٦ أغسطس ١٩١٠ الموافق أول شعبان سنة ١٣٢٨»[١].

(١) البلاغ المصرى ٧/٨/١٩١٠.

محاكمة محمد فريد وسجنه

عندما وصل الغاياتى أخذ يحرر فى صحيفة « دار الخلافة » وفى صحف أخرى مثل « صراط مستقيم » وينشر بعض أشعاره، وكان ينتظر نتيجة الحكم، فإما أن يظل فى الآستانة إذا حكم بإدانته، وإما أن يعود إلى القاهرة إذا حاز البراءة، أما وقد عرف بالحكم الصادر ضده، فقد اجتاحه قلق عارم، وتخوف من أن تطالب الحكومة المصرية، الحكومة العثمانية بتسليمها له، وبخاصة بعد أن عرفت مكان إقامته.

وكان الزعيم محمد فريد بأوروبا عند صدور الحكم على الغاياتى وجاويش، وقرر العودة إلى مصر، وهو يعلم أنه سيقدم إلى المحاكمة بسبب كتابته مقدمة وطنيتى، وقبل أن يصل إلى مصر فى ٢٨ / ١٢ / ١٩١٠، مر بالآستانة والتقى الغاياتى فى قهوة « توقتليان » وكان معه عزت شكرى بك شقيق إسماعيل صدقى، « ودار الحديث عن القضية، فقلنا له إننا على أتم الاستعداد للعودة إلى مصر إذا كان فى ذلك فائدة له فأبى »(١).

وفى أثناء هذه الجلسة أخبر فريد بك على الغاياتى بأنه فى جنيف « بعض الشبان تحت إشرافه، وأنه يرغب منا أن نتولى تدريس اللغة العربية لهم »(٢) فكان كلام محمد فريد مشجعا له على الذهاب إلى جنيف.

أما محمد فريد فقد استدعته النيابة فى ٤ من يناير ١٩١١ وحقق معه رئيسها توفيق نسيم « رئيس الوزارة فيما بعد » ثم قدم إلى المحاكمة فى ٢٣ من يناير ١٩١١، وكان رئيس المحكمة « دلبروجلى » وهو الذى حكم على الوردانى بالإعدام ولم يصحب محمد فريد معه محاميا، وقال فى المحكمة إنه كتب المقالة « المقدمة » التى وضعت فى الكتاب « وطنيتى » وبعدها سافر إلى أوروبا فى ٥ / د / ١٩١٠،

---

(١) منبر الشرق ٨ /٨/ ١٩٥٢.

(٢) منبر الشرق ١٥ /٨/ ١٩٥٢.

ولا علم له بما فيه، لأن كثيرا مما ورد فيه نظم بعد غيابه، وقال عن المقدمة أيضاً أنها مما يصح أن ينشر في جريدة أو مجلة أو كتاب وأنه قصد الكتابة عن الشعر من حيث هو، ومع ذلك حكمت المحكمة بسجنه ستة أشهر مع النفاذ.

وهاتان المحاكمتان تعيدان إلى الذهن حكاية الذئب والحمل: فإن أى أديب أو مثقف لا يمكن أن يفهم من المقدمتين اللتين كتبهما فريد وحاويش ما فهمته المحكمة والمقصود تحطيم معنويات زعماء الحزب وتشريدهم، وتحويل مقار الحزب إلى أطلال وأنقاض، والدليل على ذلك أن الخديو أرسل إلى محمد فريد بأن يتعهد بعدم مهاجمة الإنجليز مقابل الإفراج عنه فأبى[1]، إذن القضية ليست قضية وطنيتى أو مقدمة، وإنما هى تدمير الحزب الوطنى أو إسكاته.

الغاياتى فى جنيف

كان لابد للغاياتى من ترك اسطنبول. فالرزق قليل، والنفس لا تأخذ وسعها لأن أمنه مهدد، فقد تقتلعه عاصفة، وتمضى به إلى سجون القاهرة التى يخافها منذ سجن أيام القرعة العسكرية، ثم إن فى جنيف طلبة يرغبون فى تعلم العربية، فضلا عن أنها مدينة يأوى إليها الأحرار، فعقد العزم على السفر إليها، واشترى ملابس أفرنجية من الآستانة، وتلقى دروساً فى الفرنسية على شاب يهودى، ولابد أن يكون اتفق مع شخص يستقبله عند وصوله إلى جنيف ليكون دليلا ومرشدا فى الغربة.

وبرح الآستانة وركب قطار الشرق وفى ٢ / ١٢ / ١٩١٠ وصل جنيف، وكان فى استقباله طالب مصرى هو خليل مدكور[2] وبعد استقراره بحث عن الطلاب الذين حدثه عنهم محمد فريد، فلم يجدهم، فالتجأ إلى المدارس يعلم التلامذة

(١) د. عصام ضياء الدين – الحزب الوطنى والنضال السرى ص٢٢١.

(٢) منبر الشرق ٤ / ١٢ / ١٩٤٢.

فيها العربية مثل مدرسة «برلتس» ومعهد «لانسى» بضواحى جنيف[1] وإلى جانب العمل فى هذه المعاهد كان يرسل جريدة «العلم» فى مصر مقابل ثلاثة جنيهات شهرياً ثم انقطعت بعد شهرين، فأحدث هذا دويا فى نفسه، وتحول مساره الوطنى، كما سنوضح، وأمام الضائقات المالية التى حدت به إلى القول «كدنا لسوء الحال نفضل العودة إلى مصر والإقامة فى السجن»[2] التجأ إلى عدوه على يوسف، ولعله تذكر قول المتنبى:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بد

وأرسل إليه خطابا مفاده أن يبعث كل أسبوع برسالة تحتوى على الأخبار والآراء الأوربية المهمة مقابل أجر، فأرسل إليه على يوسف يقول «عفا الله عما سلف»، ووافقه على فكرته، وأرفق بخطابه خمسة وسبعين فرنكا «ثلاثة جنيهات»وسيكون له مثلها كل شهر إن داوم على الرسائل النافعة لقراء المؤيد[3] وتجدد الوداد بينه وبين على يوسف، وعندما مات صاحب المؤيد رثاه الغاياتى وفى الوقت نفسه حل الجفاء بينه وبين الحزب الوطنى.

وبالرغم من أنه كان يواجه حياة قاسية تفل العزم، تطلع إلى مواصلة التعليم المنظم، فتلقى دروسا فى الفرنسية وتقدم للامتحان بالجامعة «فقبلتنا فى كلية العلوم الاجتماعية باعتبار أننا كنا من طلاب العلم بجامع البحر بدمياط التابع للأزهر الشريف، والأزهر عندهم يعتبر من أشهر الجامعات العالمية»، وسجل اسمه بسجل الطلاب يوم ١٩ / ١ / ١٩١١[4] وبقى بها ثلاث سنوات ولكنه لم يحصل على شهادة لأنه لم يف بالتزاماته المالية.

---

(١) منبر الشرق ٢٢و٢٩/٨/١٩٥٢.

(٢) منبر الشرق ٩/١/١٩٥٣.

(٣) منبر الشرق ٩/١/١٩٥٣.

(٤) منبر الشرق ١٩/٩/١٩٥٢.

وكان يعرف فى مصر طالبا اسمه «الأمير العطار» والتقاه فى جنيف مع زوجته السويسرية، وبمضى الوقت صارت هذه الزوجة واسطة فى زواج الغاياتى من فتاة سويسرية، وكان العطار وخليل مدكور السالف ذكره شاهدى عقد الزواج فى أغسطس ١٩١٢.

ظل يرتزق من الدروس المتفرقة فى معاهد العلم إلى نشوب الحرب العالمية الأولى، فتضاءل دخله نظراً لسفر الطلاب إلى بلدانهم، وارتفاع الأسعار، فتوجه إلى الصحف السويسرية يترجم لها بعض الأخبار، ويكتب بعض المقالات فى شئون الشرق الإسلامى، ومن هذه الصحف التى ذكرها «لاسويس» «جورنال دى جنيف» «تريبون دى جنيف»، فلما توقفت الحرب كسد سوق الصحافة بعض الشيء.

وأثناء الحرب، وفى عام ١٩١٥، وكان الحكم عليه بالسجن قد سقط، جاء إلى مصر ليتابع أخبار الحرب فى منطقة قناة السويس، ويكتب تحقيقات صحفية عن مصر، وليزور ذويه فى دمياط، وكانت معه رسائل الاعتماد من الصحف السويسرية، وموافقة السلطات المصرية على الزيارة وتغطية الأخبار وعندما التقى رئيس الوزراء حسين رشدى لم يبد الأخير ارتياحا للغاياتى، وظن أنه قدم إلى مصر فى مهمة تخص الخديو عباس، وتحرك الغاياتى عدة أيام حرا طليقا فى إسكندرية زار فيها أحمد زكى باشا شيخ العروبة، وعبدالقادر حمزة، وقابل مصادفة عبدالرحمن شكرى، وتوجه إلى قصر رأس التين وسلم شكرى باشا مدير الديوان السلطانى قصيدة طويلة ليطلع عليها السلطان حسين كامل، بعد هذا ألقى القبض عليه، واعتقل فى سجن قسم محرم بك، وبقى معتقلاً عدة أيام، ونظم قصيدة أرسلها من السجن إلى شكرى باشا، بعدها أُفرج عنه ليتوجه إلى السفينة التى تقله خارج مصر، فلا غطى أخبار الحرب، ولا زار الأهل، وتكبد خسارة أليمة.

أما القصيدة التى أودعها الديوان السلطانى، فإنها تتناول بعد مطلعها الغزلى، الشكوى مما لاقاه فى الحياة، وتتضمن مديحا لحسين كامل سلطان مصر، والظاهر منها أنه كان يبغى منحة مالية، أو عطية من العطايا السلطانية، لذلك كان يتحدث فى قصيدته التى أسماها «عودتى بعد هجرتى» عن بؤسه وبلواه، وعن كرم السلطان ونداه، يقول:

وأتى الحسين فحولت ... حسناته مجرى القدر
أولى الكنانة ما تروم ... من الحماية والظفر
وجرت يداه بالندى ... حتى استحى منه المطر
أمسى أحاديث عطائه ... أحلى من أحاديث السمر
وبجوده الزمن الأخير ... على القديم قد افتخر
من لى بلثم يمينه ... وهى الرجاء المدخر[1]

وكل هذا من المبالغات، والمغالطات التى يلجأ إليها الشعراء ليستدروا عطف وإحسان ولاة الأمور من الحكام أما شكواه من الحياة فقد بثها فى كثير من الأبيات.

ومع اشتعال ثورة ١٩١٩ الشعبية، وجه اهتمامه إليها، وكان يكتب فى الصحف السويسرية عنها، ولكن نظرة الأوروبيين إلى ثورتنا، ليست مثل نظرتنا إليها، فأخذت الصحف السويسرية تضيق عليه، وكان قد اكتسب خبرة واسعة فى مجال الصحافة، كما أجاد اللغة الفرنسية، ففكر فى إنشاء صحيفة يصدرها، وأعد لها وظهرت تحت اسم «تريبون دوريان» أو«منبر الشرق» فى ٥ / ٢ / ١٩٢٢ نصف شهرية، وكانت مكونة من صفحة عربية واحدة، وثلاث صفحات فرنسية، وقد كابد مشقات فى الصفحة العربية لأنه كان يكتبها بخط يده، وأخيرا حجب

(١) منبر الشرق ١٧ / ١٠ / ١٩٥٢.

هذه الصفحة، وقد وضح ذلك فى خطاب أرسله من جنيف إلى صديقه القديم محمد لطفى جمعة بتاريخ ٨/٥/١٩٣١ جاء فيه:

« .. بادرت بإرسال العدد الأخير من منبر الشرق إليك، وإنى مرسل إليك اليوم عددين قد يكون لهما شأن لديك حيث تقف منهما على تطور الجريدة بعد عشرة أعوام، وعلى شيء من حديث أخيك القديم بعد إقامته عشرين سنة فى جنيف، ولعلك تسأل عما حدث بالقسم العربى، فأخبرك أنه تطور فى الشكل والمادة، ثم اختفى لكثرة النفقات وقلة المشتركين.. »[١]

ولما كانت جنيف مقرا لجمعية الأمم، وكان يذهب إليها لوزراء والرؤساء والأمراء فقد كان يلتقيهم، ويعقد مع بعضهم صداقات مثل على الإمام رئيس وزراء حيدر أباد بالهند، ومحمد المقرى رئيس وزراء مراكش، وأرفع الدولة مندوب إيران فى جمعية الأمم وغيرهم.

العودة إلى القاهرة

وإذا كان المثل العربى يقول «لابد من صنعاء وإن طال السفر» فإن الغاياتى عقد العزم على العودة إلى القاهرة ليقيم فيها بصفة دائمة، فأغلق منبر الشرق الفرنسية عام ١٩٣٧، وانتقل مع أسرته «الزوجة وبناته الخمس وابنه» إلى القاهرة التى وصلها فى أواخر أغسطس ١٩٣٧، وأقام بعمارة من عمارات ميدان التحرير.

وفى ٦/٥/١٩٣٨ أعاد إصدار منبر الشرق أسبوعياً ولكن بالعربية، وظلت تواصل الصدور حتى توقفت فى منتصف أغسطس ١٩٥٦، وقد روى ذكرياته فيها، ونشر الأشعار التى قالها بعد فراره من مصر، وكان من كتاب المنبر محمد لطفى جمعة ومحمد جبر وفتحى رضوان وأحمد حسين المحامى، ومختار الوكيل

(١) رابح لطفى جمعة كتاب حوار المفكرين - رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفى جمعة.

ووديع فلسطين وحسين البشبيشى وغيرهم، وكانت الجريدة تعنى بالسياسة والثقافة الأدبية.

ولعلى الغاياتى كتابان هما: «وطنيتى» ١٩١٠ «وعلى هامش الحج» ١٩٤٧ والأخير عبارة عن مقالات صغيرة نشرها فى منبر الشرق على أثر عودته من الحج، وجمعت فى كتيب، وبين فيها أوجه القصور فى الأماكن المقدسة.

وفى ٢٧/٨/١٩٥٦ توفى على الغاياتى بعد مرض سريع رحمه الله.

* * *

نقض وطنيتى

بدا على الغاياتى فى وطنيتى أحمس شجاعا، واستحال عاطفة مختلجة جياشة بالمشاعر الوطنية، ولكن بعد فراره وجد نفسه فى مكان غير المكان، ولم يكن يظن أن هجرته ستطول، ولكن بعد صدور الحكم عليه بالسجن، وسفره إلى جنيف، تراكمت آلامه وتحولت الهواجس فى نفسه، وأفزعته ظلمة المجهول، ولم يجد ما يخفف جراحه، ويهوّن من بلائه، فأُحبطت معنوياته، وأخذ يتبرم بالمبادئ التى تحمس لها، ويتحول فكره عما آمن به، وهذا التغيير بدأ ضعيفا ثم قوى واشتد مع الوقت، حتى ظهر جليا، وصار انقلابا مدمرا، وإننا نذكر معالم هذا الانقلاب وبواعثه.

ذكرنا من قبل أن مُكاتب المقطم التقى بالغاياتى فى الآستانة بعد فراره من مصر بأيام قال: «لما كنت أعرف الغاياتى، وأعلم أنه كان ناقما على سياسة الحزب الوطنى، سألته عن سبب هذا التقلب الغريب، فأجابنى بأن التغيير الذى تم فى سياسة مصر أثر فيه، وأن مركز الأدباء فيها بات حرجا، فلذلك أقدم على ما أقدم عليه»(١) وهذا يبين بداية الإحباط والتمرد على سياسة الحزب الوطنى.

وعندما كان فى الآستانة، وأثناء نظر القضية قبل صدور الحكم فيها، اتهمته جريدة «البلاغ المصرى» بأنه دسيسة على الحزب وقياداته، وهذا على حد قوله أدى إلى فتور «العلاقات مع المحبين الأصفياء».

وورد فى قصيدته «عيد الكنانة» أنه جرت مفاوضات فى جنيف بينه وبين أفراد من الحزب الوطنى، حول تركه لجنيف، والتوجه إلى باريس، ليواصل الجهاد

(١) البلاغ المصرى ٢٦/٧/١٩١٠.

منها، ولكنه رفض أن يضع يده فى أيديهم مرة أخرى، وهذا يبين أنه تحول بالفعل عنهم، وانشق عليهم.

وكان يراسل من جنيف جريدة «العلم» مقابل ثلاثة جنيهات شهريا، وحسب أقواله انقطع هذا التراسل بعد شهرين من بدئه، مما دعاه إلى القول بنكران الإخوان له، ومادام نبذهم، فكيف يتواصلون معه؟ إنها أسباب ونتائج وأعتقد أن أهم هذه الأسباب هى عدم إمداده بما يكفيه من مال فى غربته مادام العفو عنه بعيد المنال.

وإذا كنا بحثنا فى أحواله أثناء اغترابه، فإن حال الحزب الوطنى لا تقل سوءا عن حالته، فعبدالعزيز جاويش سُجن، ثم حبس بعده محمد فريد والحكومة تقف للحزب بالمرصاد، وتستغل كل هفوة من الهفوات، أى أن الحزب فى حالة اضطراب وارتباك، ثم إن السجين وهو فى سجنه هل يفكر فى نفسه، أو فى حزبه، أو فى على الغاياتى الطليق، وإذا كان على الغاياتى حصر فكره فى نفسه، وصرف ذهنه عن حزبه، فأين وطنيتى؟

بعد هذه القطيعة لم يلتزم الصمت، ويمضى فى طريقه التى اختارها، وإنما انفعلت نفسه، ولم يستطع مقاومة ثوراته الداخلية، واعتقد أنه مظلوم، وأن قادة الحزب غرروا به، وتخلوا عنه فى وقت الشدة، فانقاد لأهوائه الهادمة، وتهيأ للانتقام، وتأهب للعدوان، وهو شاعر والهجاء من أدواته، فأمسك بالقلم ونظم قصيدة طويلة من خمسة وتسعين بيتا فى مناسبة عيد الجلوس الخديوى، فرغ منها فى أواخر عام ١٩١١، وأرسلها من جنيف إلى الصحف المعادية للحزب الوطنى مثل «الوطن» و«المقطم» وغيرهما، مع خطاب أقر فيه بخطئه فى التعامل مع الحزب الوطنى، وعد هذا الاعتراف بالخطل فضيلة يشكر عليها، وقد نشرت الجرائد هذه القصيدة فى مطلع عام ١٩١٢.

وهذه القصيدة فى هجاء الحزب الوطنى، وشتم أبرز أعضائه مع ذكر أسمائهم ورميهم بألفاظ تنفر منها الأسماع.

وهذا الروح الذى أملى هذه القصيدة ينقض الروح الذى نظم ديوان وطنيتى، وبات القارئ فى حيرة وقلق، وعلينا توضيح هذا التناقض. يقول فى الديوان مخاطبا الخديو:

أعباس هذا آخر العهد بيننا ... فلا تخشى منا بعد ذاك عتابا

أيرضيك فينا أن نكون أذلة ... ننال إذا رمنا الحياة عقابا

ونيأس من آمالنا فيك كلما ... قضيت علينا أن نكون غضابا

ويقول فى «عيد الكنانة»:

مولاى عيدك للكنانة عيد ... يحلو به للصادح التغريد

الله حسبك أيها المولى الذى ... تعتز مصر بملكه وتسود

أعيادك الفيحاء غر مواسم ... تتجدد الآمال حين تعود

ففى استهلال أبيات الديوان عبوس وعتاب وتحذير وخصام، أما فى «عيد الكنانة» فالاستهلال فيه بشاشة وتغريد، وأفراح العيد، والمصريون بعد أن كانوا فى الديوان أذلاء فإنهم فى «عيد لكنانة» يعتزون بملك الأمير، وإذا كانوا فى الديوان يائسين من الآمال «نيأس من آمالنا» فإنهم فى «عيد الكنانة» تتجدد الآمال ولا يأس.

والحزب الوطنى فى الديوان يحارب أعداءه بالعقل أو بالحجا، ومبادؤه قويمة:

يا رئيس الحزب حارب ... بالحجا أهل الذميمه

لك حزب لا يمارى ... فى مبادئه القويمه

أما فى «عيد الكنانة» فإن الحزب ضل وفقد الهدى:

الحزب يدعو والهوى يسرى به ... وحجاه بين مضلليه شريد

وهو فى وطنيتى يؤمن بالجهاد والقوة، ونيل الحق بالحسام الحاطم والغلبة، وتتقاصر الوسائل الأخرى عن إدراك ما تصبو إليه من الحقوق الوطنية، يقول فى قصيدة «آهة مصرى» عن مصر:

قهرتها يد الطغاة وكانت ... مصر أولى بقطع أيدى الطغاة

ويقول أيضاً من نفس القصيدة:

إن فى قبضة الشعوب حساما ... صادق البأس ماضى العزمات

يدع الخامل الجبان شجاعا ... ويبث الحياة فى الأموات

وقوله فى النشيد الوطنى:

نحن شعب لا نضام ... قبل أن نلقى الحمام

أما فى «عيد الكنانة» فيطرح نغمة القوة والمقارعة، ويلين، وترهف نفسه وتخبو ناره، ويقول فى شىء من الضراعة: إن مصر يمكن أن تنال استقلالها بالحسنى، والعقل والعلم:

إنى فدا النيل لو أن الذى ... تبغون بالحسنى عليه يعود

لا يسعد البلد الشقى سوى فتى ... بالعلم يرفع مجده ويشيد

النيل حاجته إلى أهل الحجا ... وحجاكمو لو تسمعون فديد

ويتكون ديوان وطنيتى من حوالىّ تسعمئة وعشرين بيتا، منها نحو مئة وخمسين بيتاً في مديح محمد فريد، وعبدالعزيز جاويش، وجريدة العلم، فإذا هجا فى عيد الكنانة هذين الزعيمين بأقذع السباب، مع الازدراء لهما والاجتراء

عليهما، فإنه يكون نقض ما جاء عنهما فى وطنيتى، فلا يصح بعد أن قال إنهما استاذاى يقول عنهما وعن باقى قيادات الحزب إنهم مجرمون، وإنهم عصابة من المجرمين ولا يصح بعد أن أثنى على عقولهم، يقول عنهم فى «عيد الكنانة»، إنهم مجموعة من القرود، ولا يصح بعد أن قال عن «محمد فريد».

أيهـــا القـــائد جـــاهد وأعـــد مـــصـــر القـــديمه

باد مـــجـــد القطر فـــابعث روحـــه واحي رقـــيـــمـــه

يقول له ولأتباعه فى «عيد الكنانة» «أنتم حرب على الإصلاح».

وإذا تتبعنا ما قاله عن زعماء الحزب فى «عيد الكنانة» ووطنيتى فأننا سنكرر «لا يصح» «لا يصح» عدة مرات، ودونك بعض ما قاله عن قادة الحزب الوطنى فى «عيد الكنانة».

أبصرت ـ بعد فراقهم ـ أن البلا د تكاد مما يجـــرمـــون تميـــد

إن الحـــوادث أنبـــأتني أنكم وإن اعـــتـــزيتم للرجـــال قـــرود

ترجـون تحـرير البـلاد وانتـمـو حـرب على الإصـلاح وهو وليد

لستم بني مصـر ولكن عصبـة بوجـوهكم أيام ... عـر سـود

فى وطنيتى نظم قصيدتين صغيرتين فى «دنجرا» واحدة عندما حكم عا... بالإعدام والثانية فى رثائه عندما نفذ فيه الحكم، وفى القصيدتين يمجد دنجرا ويمتدح جهاده وشجاعته، ويبارك موته فى سبيل الوطن وإن أظهر حزنا على إعدامه، ورأى أن ما أقدم عليه هو فكرة شريفة، وكل هذا صحيح، ولولا شهامة الغاياتى ما نظم القصيدتين، وكان يكفيه هذا، ولكنه أبى بعد ذلك أن يُذكر بكلمة خير فى مقابل هذا الصنيع، فتراه فى «عيد الكانة».. يتنكر لما صنعه فى شأن «دنجرا»، ويبين لنا أن هذا الصنيع، اعنى صياغة الشعر، لم يكن بدافع من

نفسه، أو من تقدير العمل الوطنى، وإنما يقول لنا إن أحمد لطفى وكيل الحزب الوطنى هو الذى دفعه إلى ذلك، ويظهر ندما على ما قاله فى « دنجرا» يقول:

وكذا وكيل الحزب لطفى إنه — شر الكتاب برأيه معقود

ما كان لى نشر الذى أنشأته — فى دنجرا لولاه وهو شهيد

أفتى به وأقره قانونه — وهو المحامى الأشهر المشهود

فبدا على وجه اللواء ومثله — فى رأى لطفى والرئيس سديد

فهو بهذه الأبيات يتبرأ مما قاله فى وطنيتى عن دنجرا، وهذا يعد نقضا لبعض ما فى الديوان من معان.

وقد جرى فى عدد من قصائده الأخرى التى نظمها فى مهجره على هذه الوتيرة المستنكرة لجهاده بالشعر فى مصر، والهادمة لما فى الديوان، والمسايرة لنزعاته الجديدة، ففى وطنيتى يقول عن « المؤيد » للشيخ على يوسف فى قصيدة الدستور:

ياليت شعرى هل رأيت كما أرى — أن المؤيد معهد الهفوات[1]

ففى هذا البيت تحقير لشأن المؤيد، وهجاء لصاحبه، وفى قصيدته التى رثى بها الشيخ على يوسف وهو فى جنيف، يذكر على يوسف والمؤيد بالهداية وهو معنى مشرف يقول:

ومن يكن كعلى فى مكانته — وكان تاريخه فى قومه فخرا

وكان ذا أثر مثل المؤيد فى — مصر هداها وكانت قبله حيرى

بكيته.. إلى آخره

وفى قصيدته «عودتى بعد هجرتى» التى نظمها، ومدح بها السلطان حسين

(١) لم يكن الشيخ على يوسف على علاقة سيئة بالغاياتى، فكان ينشر له شعراً وهو الذي توسط له ليعمل بالجوائب المصرية. انظر المؤيد في ٢٦/٧/١٩١٠.

كامل عام ١٩١٥، يبين فى أبيات منها أنه مقر بذنبه، ويعلن توبته، ويواصل الهجوم على «ذاك النفر» وهم قادة الحزب الوطنى الذين خدعوه، ثم تبين له بعد ذلك: النهج السليم، فنطق بالحق، وقال الصواب، وأن السلطان خير من غفر، ونستمع إلى مقالته لأن المعانى أكثر من ألفاظها:

جــاء وقــد مــضت السنـ	ـون الخمس بالعبد المقر
ولأنت أولى بعــد تـو	بته وأجدر من غفر
خــدعته خـادعة المقا	ل وغـره ذاك النفر
ثم انثنى بعـد النوى	وتبين النهج الأبر
وجـرت يراعـته بما	أرضى الصواب وإن أمر

وهذه الأبيات لا تفهم فى غيبة قصيدة «عيد الكنانة» فهى من جنسها وإن اختلف الرؤى، وشعر الشاعر يتضح إذا ضممنا بعضه إلى بعضه، مع مراعاة التسلسل التاريخى، وفى مقدمته النثرية لهذه القصيدة لم يظهر ما اشتملت عليه من أغراض وقال: «عبرنا فيها عن حالنا الخاصة. والحالة العامة إذ ذاك، وكل معنى من معانيها، أو مرمى من مراميها يحتاج إلى بيان لا يخفى على قراء ذلك العهد..» لأن قراء ذلك العهد قرأوا وطنيتى، وقصيدة «عيد الكنانة..» ومن هنا يمكن إدراك مراميه وأغراضه، وكان يستطيع التوضيح، ولكنه آثر التعمية والتتويه، لأن قارئ عام ١٩٥٢ (زمن نشر القصيدة فى منبر الشرق) لا يحتمل طعنا ولعنا فى محمد فريد وصحبه.

مراميه من عيد الكنانة

ولكن ما دوافع الغاياتى من نظم قصيدة «عيد الكنانة» المحبوكة.

هل نظمها فى غمرة الشقاء، والعوز والحاجة، والإحساس بالغربة والوحدة

وتحت وطأة الألم والسأم، والتفكر بمصيره الغائم؟

أو أنه أراد أن ينتقم لنفسه، ويثأر من زعماء الحزب الوطنى الذين أزروا به، وتركوه بين الوجود والعدم حسب معتقده، فنظمها ليكيد لهم ويذيع فى الناس ما كتمه، ليحيل تقدير الناس لهم إلى ضعة؟

أو أن القصيدة رسالة اعتذار إلى الخديو عباس، وعريضة استرحام، رفعها إليه، ليعفو عنه، ويسقط الحكم الصادر ضده، ويعيده إلى مصر؟ إنه طوال القصيدة يندد بزعماء الحزب، ويبين له أن محمد فريد وجاويش دخيلان على مصر، وليسا أصيلين فيها، وأنه مظلوم مخدوع، والآن استفاق وعرف الصواب.

إن كل هذا من دوافعه، وبخاصة أنه كان يطلب العفو.

والخلاصة أن مواقفه تجاه الحزب الوطنى وزعمائه تبدلت فى هجرته، واختلفت معاييره، فبعد أن كان يجافى الحكام، صار يتقرب منهم ويهفو إليهم طلبا للعفو والبر، راجيا أن يقبلوا اعتذاره، ولم يلتفت إليه أحد، فكأنه تنازل عن مواقفه السابقة دون مقابل.

وقصيدته «عيد الكنانة» لا تفيده، أو تجدى على ديوانه، بل إنها تنقضه وتلطمه، وقد أثارت سخطا عليه، ومما قالته عنه جريدة الوطن، بعد نشر هذه القصيدة: «أظهر الشيخ الغاياتى وطنيته الكاذبة»[١].

وقد أدرك الشيخ الغاياتى مدى الضرر الذى لحق به، من جراء نشر هذه القصيدة، فلم يأت على ذكرها ولو لمحا وهو يسرد ذكرياته عام ١٩٥٢ وحمد الله على نسيان الناس لها، إذ كان قد مضى على نشرها حوالى أربعين عاما، والذين كتبوا عنه كثيرون، ولم يشر واحد منهم إليها، لا بدافع التعتيم، ولكن لأنهم لم يقعوا عليها، ولم يذكرها إلا سيد كيلانى فى مقدمة كتابه «حسين كامل» وسجل مجموعة من أبياتها دون ذكر المصدر، وقد أوردناها كاملة فى الملحق لترافق الديوان، لأنها الوجه الآخر له، ولتكون تحت بصر الباحثين ليكونوا على دراية.

(١) جريدة الوطن فى ١٠/١/١٩١٢.

شـــعره

ديوان وطنيتى، ديوان سياسى، ويعد صورة لعصره، وانعكاساً لأحداثه، لأنه يصور المشاهد الحية فى الواقع، ويدون تقلباته، وأصداء ذلك فى النفوس، فالغاياتى يحديثه عن تطلع المصريين إلى الدستور، ومصرع بطرس غالى، وعزل السلطان عبدالحميد، وإعدام الوردانى، ودنجرا، وهتافه لنواب الشعب وهم يرفضون مشروع مد امتياز قناة السويس، وهجاء روزفلت الذى خيّب آمال المصريين، ومهاجمة قانون المطبوعات المقيد لحرية الصحافة، ورحلات محمد فريد إلى أوروبا ودعايته لمصر، وغير ذلك، فحديثه عن كل ذلك تسجيل لأحداث عصره، وتدوين للمعطيات السياسية التى كانت تعيشها مصر.

ولأن هذا ما كان يشغل الناس، فإن ديوانه لا يعبر عن مزج فردى، بقدر ما كان يعبر عن إحساس الناس والرأى العام. والشعر السياسى ليس من مهامه تسجيل ما جرى فحسب، وإنما إلى جانب ذلك يقوم الشاعر السياسى بالدعاية والإثارة، والتربية الوطنية، وتبصير الناس بالحقائق، وتفتيح العيون على الواقع، وتحريك المشاعر وبخاصة فى زمن يحتل الوطن فيه غاصب، ليتأهب الناس لما هو آت، والشعر فى مثل هذه الأحوال ليس غناء الذات، ومناجاتها فحسب وإنما هو تعبير عن الشعور القومى.

وقد يلجأ الشاعر السياسى إلى التعبير المباشر، والعبارة البسيطة، لأن المهم هو قوة التبليغ، لذلك لم يعن الغاياتى، بالدرجة الأولى، بالتصوير الخيالى، والرسم الجمالى، والعناية بالألوان والظلال، واختيار الألفاظ ذات الجرْس الموسيقى،

والتمادى فى تحسين القصيدة للإمتاع، ودغدغة العواطف والحواس. من هنا خلا ديوانه، أو كاد من التصنع فتراه يكتب الصياغات الأدبية الملائمة للأحداث السياسية، والتى يراعى فيها أن تزيد فى الوعى، وتسمو بالقارئ أو السامع إلى مستوى الحدث، لأن الشعر هنا وسيلة وطنية، ففى قصيدته «آهة مصرى».

أيها الشعب إن فى النيل نارا … فاتق النار بالهدى والثبات

وادفع الشر بالتى هى أولى … وتجنب مساقط الزلات

إنهم يرقبون أمرا خطيرا … فترقب أمورهم بالتفات

إن فى قبضة الشعوب حساما … صادق البأس ماضى العزمات

لا يقيم بناءً فنيا باذخا، حاليا بالأخيلة العلوية، مزينا بالعبارات البيغة، حافلا بالموسيقى العذبة المحدثة للنشوة، وإنما هى قصيدة سهلة الألفاظ، والتعبير فيها مباشر، وأفكارها واضحة، واللفظ ليس نافرا فى العبارة، وإنما هو فى عبارة توافقه «وهذا فى الغالب» والقصيدة ككل تدور حول مواقف سلبية، يحذر الشاعر الناس من آثارها، وينقل إليهم وصاياه فيها ويقول الغاياتى فى مقدمة «وطنيتى» مبينا عن طريقته فى نظم الشعر:

«إننى لا أعنى فى قولى إلا بإبداء شعورى الخاص، وشعور الرأى العام: وإبراز ما تدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها، فى صورة ترضاها عامة الشعب، ولا تأباها خاصته، ولست بمدعٍ أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال، وأحلق فى أجواء المجاز، كما يفعل غالب الشعراء، إلا أننى أضرب عن ذلك صفحا، وأعمد إلى الحقائق السهلة، والمعانى المألوفة، فأصوغها فى صور مناسبة من القول».

والشعر الذى يصاغ بهذه الطريقة يكون القارئ أكثر تصديقا له، لأنه ينقل

حيوية الواقع، وروح الحقائق، مع بساطة اللغة التى كانت تميل فى زمن الغاياتى إلى التخلص من اللفظ الغريب، وهذ ما يناسب بعض الموضوعات الشعرية مثل الوطنية التى أبرز فيها الشاعر طابع شخصيته وشخصية مصر، ولكن هذه الطريقة لا يتبعها على طول المدى، ففى قصيدته «عودتى بعد هجرتى» التى مدح فيها السلطان حسين كامل تصنع وتكلف وخيال تفضى إلى الكذب مثل قوله:

وأتى الحسين فحولت حسناته مجرى القدر

فهذا من التكلف، والمبالغة المستكرهة، والقول الكاذب الذى يغالط فى الحقائق، لا لأن السلطان حسين لا يستطيع تحويل مجرى لقدر، ولكن لأن أى إنسان مهما عظمت قدرته لا يستطيع ذلك، ويقول بعد هذا البيت:

أولى الكنانة ما تروم من الحماية والظفر

وهو كلام يدل على أن قائله يريد أن يبيع نفسه للسلطان بثمن بخس، وتراه بعمد إلى تجاهل الحقيقة المرة، وهى أن الإنجليز هم الذين أعلنوا الحماية على مصر إبان سلطنة السلطان حسين، فأى حماية وظفر حققتهما مصر، وإذا كان النقد يرفض شعراء الغزل الفجار، وغيرهم من الفساق، فإنه ينكر مثل هذا الشعر.

الشعر المتخصص

وديوان «وطنيتى» يعد رائدا فى مجال الشعر المتخصص، فقد كانت الدواوين فى زمنه وقبل زمنه خليطا من الغزل والرثاء والمدح والوصف إلى آخره، أما هذا الديوان فإنه يختص بالوطنيات أو تغلب الوطنيات عليه، حتى وإن اشتمل على مديح ورثاء، فمديح محمد فريد ورثاء مصطفى كامل، من الشعر الوطنى.

وصحيح أننا نجد شعرا وطنيا فى دواوين أخرى، ولكن هذا الشعر الوطنى تائه فى ديوان حافل بضروب الشعر المختلفة، ولكن «وطنيتى» تطبعه الوطنية

والأحداث القومية بطابعها، ومن أجل هذا ينطبق عليه عنوانه «وطنيتى»، ومن الدواوين الشعرية الأخرى المتخصصة ديوان «هدية الكروان» للعقاد، فأصوات الكروان الشادية هى المسيطرة عليه، وهذا لشعر المتخصص من الجديد فى الشعر الحديث، لأن الديوان الواحد له موضوع وغاية.

والشعر المتخصص مثل أى تخصص فى موضوع، يتوسع فيه الشاعر، ويستزيد، ويلون ويسجل الخطرات، وبالنسبة للغاياتى، فإنه فوق ما ذكرنا، يفسر الوطنية من منظوره، ويدون العبر المستخلصة، ويضرب الأمثلة فى الوطنية، ويحمس قومه ويوصيهم، ويظهر النقمة على المحتل وأعوانه، ويقول ذلك بدون مواربة أو تمويه.

ويمكن أن نعد «وطنيتى» من شعر المناسبات، فقد استلهم الشاعر قصائده من واقعات وحادثات، ومع ذلك فإننا نفضل القول بأن ما استوحاه هو شعر وطنى تغنى فيه بالحق والعدل والحرية، والاستقلال، وهى قيم إنسانية راسخة لا تتغير بتغير الحادثات والمناسبات.

أما خطابه ومناجاته فإلى مصر والشعب متمنيا لهم الحرية والسعادة، مستبشراً بتحقيق طموحهم فى العزة:

كفكفى يامصر دمع الوجل　　　وارتقب يانيلُ نَيْلَ الأمل

ومخاطبا الشعب، ومبشرا له بسطوع النور:

أيها الشعب أفق ولّى الظلا　　　م ولاح النور للمستبصر

ويستمر فى مخاطبة معالم مصر وزعمائها، ومجاهديها متفائلا بنتيجة جهادهم.

ومما يستلفت الأذهان تصويره لشخصيتى الوردانى وبطرس غالى، فيرى أن

الجانى هو المجنى عليه وأن المجنى عليه هو الجانى، يقول عن لشرطة الذين سارعوا إلى القبض على الورد نى، بعد إطلاقه الرصاص.

مالى أراهم مهرعين إلى الفتى وأراه لا يبغى فرار جبان

نالوه بالشر الذى يرضيهمو وجنوا عليه وهو ليس بجانى

ويقول عن رئيس الوزراء الصريع فى قصيدة «مصرع الباغى»:

اليوم تعلم ما جنيت وليس علمك ينفع

صرعتك غائلة الردى ولكل باغ مصرع

وهذا التصوير للشخصيات كأنه ينطوى على مفارقة من المفارقات، ولكن المؤرخ النزيه يحكم بصحة التصوير.

وهو يستدعى التاريخ، ويسائله ويتكئ عليه فى تصوير مجد مصر، وإثبات دعواه فى عظمتها وحضارتها، وإماطة الأستار عن علوها وعزتها، ويمضى فى كشف ما هو تالد، ودكر ما هو طارف، ليملأ نفس القارئ حقدا على المحتل:

سائل التاريخ عنها إنه صادق الأخبار جم العبر

تلك دار سجلت آثارها بين إجلال وذكر عطر

ويقول أيضاً:

هل سنو يوسف أبر بمصر أم سنو الاحتلال والأزمات

أين عهد الجلال فى ملك مصر أين عصر العلوم والحسنات

فهو ينقب فى التاريخ على عصور المجد، وسنين الخير ولرخاء، ويظهر كيف تناقض الماضى والحاضر من خلال شعر يلتزم الفن والصدق التاريخى.

ولأن شعر وطنيتى حماسى الطابع، فإن عبارته فى كثير من الأحيان، تأتى قوية شديدة، ويكون البيت بشطريه، كأنه جملة واحدة تصدر عن الشاعر فى نفس واحدة، أو دفقة نفسية واحدة، فيها كل ما يريد قوله، وهذا يدل على صدق الشعور وتوقده، لأن النَّفَس الشعرى الحاد صورة من الشعور المفعم بالحماسة والانفعال.

وعندما صدر قانون المطبوعات المقيد للصحافة وقوانين أخرى تحظر المظاهرات والتجمعات قال الشاعر:

إن القــــوانين الجـــــديده	ليست كما زعموا رشيده
نار القلوب أشـــــد من	نيران شدتها المبيده
والضغط لا يجدى سوى	إظهار ما تخفى العقيده
فليحذروا وجد النفو	س ليأمنوا شر المكيده

بل إنه من أجل أن تأتى العبارة قوية صلبة سريعة الإيقاع، متتابعة النغمات، مهتاجة فعالة، كان يستخدم مجزوءات البحور مثل قوله من مجزوء «الكامل».

هل سال فى مصر الدم	أم ثار فيها المسلم
ودعا دعاء محمد	داع فهب النُّوَّم
ومضوا إلى أهل الضلا	ل فأعدموا من أعدموا

فهذه الأبيات أو الزفرات الحارة، ينظمها الشاعر فى نفس واحد، ويطالعها القارئ فى نفس واحد، ولا يملك أن يلتقط نفسه، وهى من شعر الحماسة الصلب، الذى يشبهه أناشيد الحرب، التى تزيد النفس إتقادا، والعواطف اشتعالا.

ولكن شعر الغاياتي، ليس كله صافي العبارة، عذب الصياغة، يأخذ بالألباب وإنما فيه تجاعيد وثنيات، ولا يخلو من العوار والعثرات، التي تؤثر على صواب المعنى، وتجعل أقواله متهافتة أو غير مستقيمة، ومن هذا قوله في قصيدة «آهة مصري».

فانهض اليوم ولا ترقب غدا　　　وادفع الشر بسيف الحذر

أراد أن يقول ادفع الشر بالحذر الشديد، فقال بسيف الحذر، والحذر لا سيف له، لأنه توجس وترقب وتخوف، وسيف الحذر من وهم الشاعر: لا من صحيح الخيال، وقوله: «فانهض اليوم ولا ترقب غدا» يتنافى مع الحذر، لأن الإنسان الحذر يرقب كل شيء في كل آن خوف وقوع الشر.

وقوله في قصيدة دنجرا راثيا له:

كنت شهما على البلاد غيورا　　　لم يشنك الرضا والاحجام

والعبارة في الشطر الثاني قلقه مضطربة، ومعناها لا يعيبه الرضا والإحجام، والرضا ليس عيبا، فكيف وصفه بذلك؟ والإحجام مع الشهامة في الشطر الأول عيب، فكيف أتى به؟ وكان على الشاعر أن يصوغ عبارة شعرية مفادها أن الشهامة منعته عن الإحجام، أو أنه لم يخف فأقدم على قتل الوزير الإنجليزي، ولكن البيت بهذا الشكل لا يستقيم.

ويقول في قصيدة دنجرا قبل إعدامه

وقدمت نفسا للفداء كبيرة　　　لتبعث وجدا في النفوس على وجد

و«وجد» لها أكثر من معنى، وهي هنا بمعنى الحزن أو ضرب منه، فهل دنجرا قدم نفسه فداء لوطنه ليثير حزنا في النفوس على حزن، أو أنه افتدى وطنه بروحه،

فشرح الصدور، وأثار الإعجاب، ونال التقدير لأنه انتقم من أحد الأعداء.

واستهلاله لقصيدة «العَلَم» بقوله:

هوى اللواء فصاح بعده «العلما» وسربه فى حمى القطرين معتصما

غير موفق، لأن جريدة «اللواء» لم تهو، وما حصل هو وقوع نزاع بين ورثة مصطفى كامل حول اللواء، ونشأ خلاف بين الورثة والحراسة التى فرضت على الجريدة والحزب الوطنى وكانت اللواء لسان حال الحزب.

فلما وقعت النزاعات أنشأ الحزب جريدة «العلم» فى مارس ١٩١٠، لتكون لسان حاله، أما اللواء فلم تهو وإنما واصلت الصدور حتى ١٩١٢.

ومن الناحية الأدبية لا تتوافق كلمة هَوى مع كلمة صاح، وإنما كان الأفضل أن يصوغ عبارة تأتى فيها كلمة صعد أو ارتفع أو سما «العلم» ليكون بين هوى وسما، مقابلة يقتضيها الكلام، أما هوى وصاح فلا علاقة بينهما.

ويخاطب مصطفي كامل في رثائه له بقوله:

يا حياة النيل جف النيل من وهج الوجد، وأسقانا الظمأ

أي أن مصطفي كامل هو حياة النيل، فلما مات جف النيل من حرقة الحزن، ولم يعد النيل يسقينا ماء، وإنما يسقينا ظمأ. وتعبير أسقانا الظمأ تعبير غير صحيح، لأن الظمأ لا يسقي، وإنما يحس ويستشعر، وحتي إذا حجب شخص الماء عن آخر، فإنه لا يسقيه الظمأ وإنما يجعله يستشعره، فأسقانا الظمأ تعبير ضبابي لا يكشف إلا عن وهم الشاعر، وهذا الوهم أبطل تأثير العبارة المجازية، ولو كان قال: «أضنانا الظمأ» لاستقام الوزن والمعني.

وديوان وطنيتي بمستوياته الفنية المتفاوتة يعبر عن شاعر آثر الإنخراط في مشكلات عصره، ولم ينعزل عنها، ليحلق بأحلامه الغامضة في الآفاق المترامية،

ولم يجعل الشاعر فنه لا يراوح الفن، وإنما رغب في أن يتحرك ويتواصل مع الناس، وتكون له غاية، لذلك ابتعد عن مناجاة الروح، على قدر المستطاع، وشارك الناس أحاسيسهم بالواقع.

وبالرغم من أنه تعبير جمعي. فلم يكن بعيداً كل البعد عن الشعر الوجداني الخالص.

إذ إن الشاعر والناس هنا شخص واحد أو نفس واحدة، يقوم هو بالتعبير عنها وإذا كنا لا نستشعر الآن بعض ما قاله من وطنيات، بعد أن تباعدت الأحداث، فإن جيل وطنيتي كان يتذوقه ويتفهمه ويهتز به، وهذا هو التأثير الشعري.

أحمد حسين الطماوى

وطنيتى

بقلم:
على الغاياتى

مقدمة
الطبعة الثالثة

ظهرت الطبعة الأولى من «وطنيتى» فى الأسبوع الأخير من شهر يونيو سنة ١٩١٠، وقد أقام هذا الديوان دنيا الاحتلال وأقعدها، ولم يكن يصدر حتى صودر، وهاجر صاحبه سراً من مصر فى ٦ يونيو، فحوكم غيابياً، وحكم عيه فى ٦ أغسطس بالحبس سنة، كما حكم على المرحوم الشيخ عبدالعزيز جاويش بالحبس ثلاثة أشهر، لأنه كتب للديوان مقدمة قرظة فيها، ولمثل هذا السبب حوكم كذلك المرحوم محمد بك فريد، بعد عودته من أوروبا، وحكم عليه فى ٢٣ يناير سنة ١٩١١ بالحبس ستة أشهر.

وكان المؤلف قد يمم شطر الأستانة، حيث أقام خمسة شهور إلا قليلاً، ثم سافر إلى سويسرا، وبقى فى جنيف زهاء سبعة وعشرين عاماً، أسس فى خلالها أسرته سنة ١٩١٢، وجريدته «منبر الشرق» La Tribuned' Orient سنة ١٩٢٢، وعاوده الحنين والرجاء، فعاد إلى وطنه المحبوب فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٣٧ وأعاد طبع «وطنيتى» فى ١١ فبراير سنة ١٩٣٨ تحت سمع الحكومة وبصرها بعد أن سقط الحكم وتبدلت الأحوال.

وجاءت الحرب الماضية. واستمرت نحو أربع سنوات لم يتخذ فيها أى إجراء ضد هذا الكتاب، الذى يعتبر سجلاً تاريخياً للحركة الوطنية فى فترة قصيرة من ازمن الخالى، ولكن الحليفة الماكرة الغادرة شعرت فجأة بأن فى نشره، ورحى اقتال دائرة، داعية سيئة لها، فما كان من القلم السياسى المصرى إلا أن أوفد

بعض ضباطه فى صباح السبت ١٧ يونيه سنة ١٩٤٣ إلى المؤلف للبحث عن وطنيتى عنده فلما لم يجدوها لديه. أخذوا عليه تعهدا كتابياً بألا يطبعها أو يوزعها ما دامت الحرب قائمة.

وبذلك تكون وطنيتى قد طبعت مرتين، وصودرت أيضاً مرتين.

وها هى ذى طبعة ثلثة أراد الله لها أن تظهر، والبلاد من أقصى الجنوب إلا أقصى الشمال تطالب بالوحدة والجلاء، ومن حسن الاتفاق أن يكون ظهورها كظهور الطبعة الثانيه فى أيام ذكرى وفاة المغفور له مصطفى كامل باشا. الذى فاض الديوان بآيات ذكره العطر المجيد.

«أما الجزء الثانى من وطنيتى: وهو هجرتى، فلا يزال الأمل كبيراً فى جمعه وطبعه قريباً بإذن العلى القدير، إنه نعم المولى ونعم النصير».

المؤلف

القاهرة في يوم الأثنين

١٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٦

١٠ فبراير سنة ١٩٤٧

مقدمة الطبعة الثانية
بعد ثمانية وعشرين عاماً

أصدرت هذا الكتاب فى منتصف عام ١٩١٠، وقد صودر إذ ذاك وحوكمت من أجله وحكم على غيابيّاً بالحبس سنة. ولكنى فررت سرّاً من مصر، وطنى المفدى قبيل المحاكمة ويممت الأستانة حيث أقمت خمسة أشهر، ثم سافرت إلى جنيف وبقيت بها زهاء سبعة وعشرين عاماً، وأخيراً عدت إلى بلدى المحبوب. وسأبين هذه الحوادث بالتفصيل فى مقدمة الجزء الثانى من «وطنيتى» الذى سأنشره قريباً إن شاء الله.

رأيت بعد هذه المدة الطويلة، وقد سقط الحكم على وتبدلت الأحوال السياسية فى وادى النيل السعيد، أن أعيد طبع هذا المؤلف الذى غير مجرى حياتى كل التغيير، ويسرنى أن يتم لى ذلك يوم الذكرى الثلاثين لوفاة رسول الوطنية الصادق الأمين مصطفى كامل باشا الذى فاض كتابى بذكره الطيب واسمه الخالد المجيد. ومن حسن الاتفاق أن يكون هذا اليوم أيضاً يوم عيد الأضحى المبارك ويوم عيد ميلاد حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح المحبوب فاروق الأول حفظه الله.

المؤلف

القاهرة في يوم الجمعة

١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٦

١١ فبراير سنة ١٩٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافى نعمة ويكافئ مزيده والصلاة والسلام على جميع أنبيائه وأصفيائه الأقربين. خصوصاً خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد بن عبدالله الذى أرسله الله رحمة للعالمين. وجعله سراجاً منيراً للمهتدين. وبشيراً نذيراً للناس أجمعين، فنبه الأمة من غفلتها وأرسل بينها كتاب الله مصدقاً لما بين يديه من الكتب فأوردها موارد الحياة وأفاض عليها الحكمة والنور فكانت خير أمة أخرجت للناس جاهدت فى سبيل الله حق جهاده وقدمت النفوس والنفائس قرابين إليه تعالى فنصرها نصراً عزيزاً وثبت أقدامها على الحق وأظهر دينها على الدين كله وكذلك يعتز الإسلام بقادته والوطن بسادته.

ولعمرى لو اتبعنا سنن هذا الدين الحنيف واهتدينا بهدى القرآن الكريم لما بلغ منا الظالمون مبلغاً. ولكنا أمنع شعوب الأرض جانباً وأرفعهم جناباً.

إن الإسلام دين الحرية والمساواة والإخاء وهو رسول السلام العام. وشارع الديمقراطية والدستور. وبالجملة هو مثال الوطنية الصادقة والحكومة الصالحة.

ولا ريب أن أنجع دواء لمصر وهو خير البلاد الإسلامية إنما هى إحياء معالم الدين الإسلامى بين ربوعها وإقامة شعائره فى ديارها. فوالذى نفسى بيده ما وجدت سبيلاً أدنى إلى الحياة الخالدة والمجد الأسمى من سبيل النبى صلى الله عليه وسلم، فمن شاء لمصر من أبنائها مقاماً كريماً. وخيراً عميماً فليكن رائده الإسلام وإمامه القرآن. ذلك طريق الوطنية القويم ومنهجها الأمين ولله در الحزب الوطنى فقد فطن إلى ذلك وحث فى المبدأ الخامس من مبادئه الشريفة على نشر

المبادئ الدينية الصحيحة بين الأمة.

فوفق اللهم قومنا إلى اتباع دينك، وسدد خطواتنا فى سبيلك. وصل وسلم على عبدك ورسولك النبى الأمى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين. واهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.. آمين.



إهداء الكتاب

أقدم بين يدى كتابى هذا كلمة أزفه بها هدية خالصة لوجه الوطن الكريم وأبنائه المخلصين، باعثاً به إلى ذلك الروح السابح فى فضاء الأبدية، المشرف على مصر وبنيها من سماء خلوده، داعى لشعب إلى النهضة فى حياته وباعث الحياة فيه يوم مماته شهيد الجهاد فقيد البلاد مصطفى كامل باشا.

أمطر الله رمسه الميمون شآبيب رحمته ورضوانه وأحله فى جواره الأمين مكاناً عليّاً.

وبعد فأنزل من عالم الأرواح إلى عالم الأشباح. رافعاً «وطنيتى» بيد الإخلاص إلى إماميّ الوطنية بعد ذلك الإمام، وناشرى لواء الحرية وعلم السلام. متممى شرعة النهضة الغابرة وقائدى زمام الحركة الحاضرة رئيس الحزب الوطنى وتحرير لسان حاله حضرتى محمد بك فريد والأستاذ الشيخ عبدالعزيز جاويش.

ثبت الله أقدامهما فى مواقف النصر وكان لهما وليّاً مرشداً.

* * *

إن هذا الكتاب الذى أهدى إليهما إن هو إلا عنوان شعور نفسى تعهداه فسما. وأمداه فنما. وما أنا منهما إلا:

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

فإذا ما أثنيت عليهما كان ثنائى ثناء تلميذ معترف بما لهما عليه من حق التربية وواجب الإرشاد. وإذا ما أثنيا علىّ كان ثناؤهما ثناء أستاذ مربٍ حكيم

يريد أن يبلغ بتلميذه شأوا من الفضل عالياً فلا يزال به مشجعاً مرغباً حتى يصل إلى غايته فائزاً بمرجو آماله، ومبروراً أعماله.

كذلك كان شأنى وشأنهما فى هذا الكتاب. وكذلك هما يربيان لمصر أبناء أوفياء. ويبذلان فى سبيلهما القويم ما شاءت كبار الآمال، ولا يبخلان بعزيز الحياة تفانياً فى حب الوطن وعزته ورغبة فى حياة الأمة وسعادة البلاد.

* * *

فلئن حييت لأنصرن مبادئ الحزب الوطنى نصراً. ولأطلعن فى دياجى الخطوب من حياتى فجراً، ولأجودن بالنفس يوم تدعو البلاد للأمر حرّاً، بل لأغيرن إن استطعت وجه التاريخ الحديث فى مصر تغييراً تخر له جبابرة الظالمين سُجَّداً، يبكون خشية وفرقاً ويرفع الوطن المفتدى رأسه مهللاً مكبراً منصوراً إن شاء الله.

فطب نفساً أيها النيل وسر عذباً صافياً، فما كلمتى هذه كلمة فرد واحد من أبنائك وأصفيائك. إنما أنا مرسلها من شعور فائض بحبك والوجد عليك وإنه لشعور له فى قلوب نشئك مكان مكين. وكم فيك يا نيل من فتى أسكته اليوم التفكير وسينطقه غداً العمل.

إذا اليوم ولَّى فراقب غدا فإنَّ غداً لناظره قريب

وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب. فاصبر الصبر الجميل وحسبك الله ونعم الوكيل.

أحد جنود الحزب الوطنى

على الغاياتى

كلمة حضرة محمد بك فريد
تأثير الشعر فى تربية الأمم

الشعر من أفضل المؤثرات فى إيقاظ الأمم من سباتها وبث روح الحياة فيها، كما أنه من المشجعات على القتال وبث حب الإقدام والمخاطرة بالنفس فى الحروب ولذلك نجد الأشعار الحماسية فى قديم الزمان شائعة لدى العرب وغيرهم من الأمم المجيدة كالرومان واليونان وغيرهما.

وليس من ينكر أن الأنشودة الفرنسية التى أنشأها الضابط الفرنسى روجيه دى ليل وسميت المرسلييز[1] كانت من أقوى أسباب انتصار فرنسا على ملوك أوروبا الذين تألبوا لإخماد روح الحرية فى مبدأ ظهورها.

لذلك كتب الكاتبون منا كثيراً فى ضرورة وضع القصائد والأغانى الوطنية ليحفظها الصغار ويترنموا بها فى أوقات فراغهم ولينشدوها فى ساعات لعبهم بدل هذه الأغانى والأناشيد التى يرددها أطفال الأزقة خصوصاً فى ليالى شهر رمضان المبارك. كما كتبوا فى لزوم تغيير الأغانى التى تنشد فى الأفراح وكلها دائرة حول نقطة واحدة هى الغرام ووصف المحبوب بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد كانت من نتيجة استبداد حكومة الفرد سواء فى الغرب أو الشرق إماتة الشعر الحماسى وحمل الشعراء بالعطايا والمنح على وضع قصائد المدح البارد والإطراء الفارغ فى الملوك و لأمراء والوزراء وابتعادهم عن كل ما يربى النفوس ويغرس فيها حب الحرية والاستقلال، كما كان من نتائج هذا الاستبداد خلو خطب المساجد من كل فائدة تعود على المستمع حتى أصبحت كلها تدور حول موضوع التزهيد فى الدنيا والحض على الكسل وانتظار الرزق بلا سعى ولا عمل.

(١) خلاصة تاريخ المرسلييز مذكورة في مقدمتي بعد.



رسم حضرة محمد بك فريد

تنبهت لذلك الأمم المغلوب على أمرها فجعلت من أول مبادئها وضع القصائد الوطنية والأناشيد الحماسية باللغة الفصحى للطبقة المتعلمة وباللغة العامية لطبقات الزراع والصناع وسواهم من العمال غير المتعلمين فكان ذلك من أكبر العوامل على بث روح الوطنية بين جميع الطبقات، ويسرنى أن هذه النهضة المباركة سرت فى بلادنا فترك أغلب الشعراء نظم قصائد المديح للأمراء والحكام وصرفوا هممهم واستعملوا مواهبهم فى وضع الأشعار الوطنية وإرسالها فى وصف الشئون السياسية التى تشغل الرأى العام. وقد لاحت «وطنيتى» فى طليعة هذه النهضة الميمونة الرشيدة.

وما يزيد سرورى أن شعراء الأرياف وضعوا عدة أناشيد وأغانٍ فى مسألة دنشواى وما نشأ عنها وفى المرحوم مصطفى كامل باشا ومجهوداته الوطنية.. وفى موضوع قناة السويس ورفض الجمعية العمومية لمشروعاتها وأخذوا ينشدونها فى سمرهم وأفراحهم على آلاتهم الموسيقية البسيطة، وهى حركة مباركة إن شاء الله تدل على أن مجهودات الوطنيين قد أثمرت ووصل تأثيرها إلى أعماق القلوب فى جميع طبقات الأمة، وتبشر باقتراب زمن الخلاص من الاحتلال ومن سلطة الفرد بإذن الله.

فعلى حضرات الشعراء أن يقلعوا عن عادة وضع قصائد المديح فى أيام معلومة ومواسم معدودة، وأن يستعملوا هذه المواهب الربانية العالية فى خدمة الأمة وتربيتها بدل أن يصرفوها فى خدمة الأغنياء وتمليق الأمراء والتقرب من الوزراء، فالحكام زائلون والأمة باقية.

والسلام على من سمع ووعى ووفق لخدمة بلاده وسعى. فإن سعيه سوف يُرَى ثم يُجزاه الجزاء الأوفى؟ **الإمضاء**[1]

(١) هذا التوقيع أخذ بالزنكوجراف عن خط يد فريد بك نفسه وكذلك توقيع الأستاذ الشيخ عبدالعزيز المذيلة به كلمته التالية

كلمة الأستاذ الشيخ
عبدالعزيز جاويش
الشعر والشاعر

قد يتوهم بعض المتشاعرين أن الشعر هو تلك الجمل الموزونة ذات الروى الملتزم فتراهم أجرأ ما يكونون فى تقصيد القصائد والانتساب إلى دعوى الشعر معتمدين على جهل كثيرين بأسرار الشعر ومزاياه وشرائط صحته وكماله عالمين أن الأدب قليل أهله الذين يميزون بين الخبيث والطيب ويدركون دقائق الفروق التى بين الأبيات العامرة والأبيات الغامرة لاسيما فى هذا الوقت الذى ضعفت فيه ملكة اللغة العربية إذا طرأ على العرب من العجمة المتفشية ما أصبح معه الذوق بعيداً عن السلامة وتأليف العبارات أحوج ما يكون إلى الاستقامة.

إذا شئت أن تعرف جيد الشعر فدع عنك تفاعيل البحور والتزام الحروف ومحسنات الألفاظ واعتبر بما يتركه فى نفسك من الأثر، فإن أحسن الشعر ما يملك قلبك حتى تفرغ منه، كما أن أجمل الصور ما يملك بصرك حتى يغيب عنه، إذا شئت أن تعرف الفرق بين الشعر المطبوع والشعر المصنوع فإن شعرت وقت سماعه كأن معانيه أرواح تناجيك وألفاظه تكاد تخرج من فيك، فذلك هو المطبوع، وإن ذهبت أغراضه بقلبك مذاهب شتى ولم يجمل فى السمع ديباجته وتنسيقه. فذلك المصنوع الذى لا يرد عكر معينه إلا متشاعر جاهل أو شاعر مأجور، وكيف يجمل الشعر ويلذ استماعه إذا خرج من قلب لا يتأثر ونفس لا تنفعل؟ وهل الشعر إلا مرآة يرى فيها آثار الانفعالات النفسية التى تقوم بنفس واضعة؟

قال عبدالملك[1] لأرطاة بن سهيل كيف أنت الآن فى شعرك؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أطرب ولا أغضب ولا أرغب ولا أرهب، وما يكون الشعر إلا من نتائج هذه الأربعة.

ليس الشعر أن يمعن الشاعر فيما وراء الحقائق من الصور الوهمية أو أن يسلك سبيل الإغراق فى المدح والذم فإنما الشعر تصوير ما يدور بالذهن من الصور فكما أن أمهر المصورين ليس ذلك الذى يؤلف بين الأجزاء المتنافرة أو الذى يرسم على الورق ما لا يطابق شيئاً من حقائق الأشياء الخارجية بل هو ذلك الذى يعمد إلى أحد الكائنات فيصوره مجيداً «تظليله» حتى يخيل إلى رائيه كأنما ينظر إلى ذلك الكائن الثابت فى الخارج. كذلك أمهر الشعراء من يأتى إلى الحكم والقضايا الصادقة فيبرزها إلى السامع بعبارات تصبى الألباب إليها وتدفع المستمع إلى العمل بمقتضاها.

وماذا على الشاعر بعد أن بوفى شعره قسطه من الصدق وثاقب الرأى سوى أن يجيد تأليف العبارات ويحكم مطابقة المعانى بعضها ببعض، فإنما الشعر كالتوقيع واللحن، فكما أن اللحن لا يخف على السمع إلا إذا تناسبت الأجزاء التى يتألف منها كذلك الشعر إذا لم تأتلف عباراته ولم تتناسب معانيه كان صمماً للآذان. وغمة لنفس الإنسان.

---

(١) عبدالملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية ولد سنة ٢٦ ومات سنة ٨٦ هجرية وأرطاة بن سهل شاعر فصيح شريف في قومه صادق كريم وهو معدود في طبقات لشعراء الإسلاميين في دولة بني أمية لم يسبقها ولم يتأخر عنها وله مع عبدالملك موقف مذكورة وهو القائل:

رأيت المرء تأكله الليالي	كأكل الأرض ساقطة الحديد
وما تبغي المنية حين تأتي	على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى	توفي نذرها بأبي الوليد

وكان يكنى بأبي الوليد. رحمه الله تعالى.



رسم حضرة الأستاذ عبد العزيز جاويش

مقلدا وسام الشعب

ومن شاء أن يرى نموذجاً من الشعر جمع بين رقة الألفاظ وجزالة المعانى بين إحكام التأليف وصدق العبارة فليقرأ شيئاً من «وطنيتى» ومن شاء فليسأل عن آثارها تلك الهمم الناهضة والنفوس المتوقدة والعزائم الصادقة فإنها من غراسها وجميل ثمارها؟

الإمضاء

عبد العزيز جاويش

المقدمـــة

لست بقائل فى نعت الشعر وتأثيره فى النفوس وتربية الأمم بأكثر مما قال القائلون وكتب الكاتبون وحسبى ما حليت به صدر «وطنيتى» من جمل مأثورة. ودرر منثورة. سطرها يراع قائدىْ الحركة الوطنية فى مصر وخير معبرين عن الشعور وتأثير الشعر فى العواطف ونهضة الشعوب. ولكنى أرى مصر وهى الغنية بشعرائها الوطنيين فى هذه الأيام تكاد تكون أفقر أمة فى هذا الصدد وأعوز الشعوب جميعاً إلى الشعر والشعراء.

أجل إن مصر لشديدة الحاجة إلى شعراء يبكون إذا بكت ويبتسمون إذا ابتسمت. وهم فيما بين ذلك ينفثون فى النفوس من روحهم. ويبثون فى الأمة من شعورهم.. حتى يُشربوا القلوب حب البلاد. ويستمطروا مدامع الوجد عليها والكلف بها هنالك تنهض الهمم وتتوقد العزائم وتعمل النفوس الحرة الأبية على كسر أغلال الظلم وسحق أصفاد الاستبداد، هنالك تتربى فى النشء روح الحمية الوطنية. والغيرة القومية فما هى إلا عشية أو ضحاها حتى يبلغ الشعب بقوة شعوره وإرادة شعرائه مستوى الشعوب الحية ويدرك شأو الأمم الحرة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون.

إن الشعراء فى كل أمة هم عنوان حياتها ومقياس رقيها فمتى انصرفوا، عن مواقف الجد واستحبوا الغى على الرشد وأنساهم رنين الكؤوس أنين النفوس. وشجى الألحان. شقى الأوطان. وسماحة الجميل. سماجة «الدخيل» وهوى الفتاة. هدى الحياة ومامل العطاء مكمن البلاء. ومربع الأمراء. موقع الأرزاء

والمدح والهجاء. النصح والوفاء. فقد حقت عليهم كلمة الخزى والعار وكانوا لبلادهم ويلاً وحرباً.

ومتى صرفوا مواهبهم فى خدمة الأمة وتخليد مجدها أصبحوا عنوان عزها ومطلع سعدها كذلك كان شأن الشعراء فى كل جيل.

فليت شعرى أين شعراء مصر؟ لقد كثر عددهم وقل مددهم. إنه ليوشك ألا يكون منهم عند ذكرى الوطن إلا سيف من يقف موقف المدافع المهاجم يقتحم الصعاب ويهزم الخطوب. يحارب الآلام ويصافح الآمال. يهز العرش إدا ما شاء ويدك الطود إذا ما أراد يبنى لقومه بسنان قلبه مجداً باقياً وينشر عنهم فى الملأ ذكر عاطراً.

فأين شعراء مصر؟ بل أين الشعراء فى مصر؟ إلا أنهم عند تلك الذكرى لقليل ولدى ذلك الموقف العظيم لأقل.

ليت شعرى هل يستطيع أفراد من الشعراء لا يجاوزون أصابع اليد عداً ولا يذكرون البلاد إلا قليلاً أن ينهضوا بالأمة النهضة المأمولة ويبلغوا بها الدرجة المرجوة؟؟

أليس من العار أن يقتتل أكثر شعرائنا على الشهرة اقتتالاً ثم ننظر فقلما نرى لهم فى مواقف الوطنية مجالاً ولا مقالاً؟ أليس من المخجل أن نقيم للمظاهرات وتنشئ الجمعيات ونسير فى سبل الحرية والاستقلال سيراً حثيثاً ثم لا نعرف لنا نشيداً وطنيّاً يذكره الزارع والصانع والتاجر والكاتب وسائر طبقات الأمة جماعات ووحداناً؟ بماذا نعتذر وبماذا نجيب وبيننا الشعراء القادرون والكتاب المفكرون؟ إننى لا أعتب بهذا القول على جماعة الأدعياء الذين يريدون أن يصعدوا إلى السماء بغير مرقاة والذين جعلوا ديدنهم الطعن والتشهير بكل ناظم وناثر ولا يكادون يذكرون سواهم بخير، فما هم بأمر ذى بال، فأعتب عليهم ولو كان لهم بين الأمة حسنة تذكر لكان لهم حظ من هذا العتاب.. وإنما أنا عاتب على خيرة الشعراء

وصفوة الكتاب الذين يعلمون حاجة الشعب إلى التشجيع بمأثور القول من القصائد والمقاطيع الوصنية والأغانى والأناشيد الحماسية. ثم لا يؤدون هذا الواجب الوطنى المقدس ويمحون هذه النكتة السوداء من صحيفة النهضة الحاضرة المرجوة.

أجل إننى أعتب عليهم كثيراً وأرجو أن يكونوا فى طليعة المجاهدين الأحرار من إخوانهم وأبنائهم الوطنيين. وما ذلك عليهم بعزيز.

* * *

أما بعد فهذه مجموعة صغيرة أتيت فيها على مجمل ما نظمته فى الحوادث السياسية الخطيرة منذ أوائل سنة ١٩٠٨ إلى أوائل سنة ١٩١٠ متتبعاً فى قولى سير الحركة الوطنية. مشرفاً على مشاهد النهضة الحاضرة فى هذه المدة من سماء الحزب الوطنى فى «اللواء» ثم فى «العَلَم» ولا ريب أنها أدنى سماء يشرف منها المؤرخ السياسى والكاتب الوطنى على أدوار الحركة الوطنية وأطوارها فى مصر.

لهذا أرانى فيما نظمت ناطقاً فى أكثر المواضع بلسان الرأى العام ممثلاً شعور الأمة أقرب تمثيل. بيد أنى قد يدفعنى شعورى الخاص فى بعض المواقف إلى الجهر بما لا يحب الجهر به بعض الناس وذلك لأنى لا أستطيع حكم عواطفى كثيراً فى مثل هذه الشئون المثيرة للوجد الكمين، المعدلة للسر المكنون: وأرى مما لا طاقة للنفس على احتماله فى هذه الحال إضمار الحقائق الظاهرة. ومغالطة الحس ومكابرة الواقع وإلباس المسائل ثوب الرياء والنفاق لذلك أسير فى بعض أقوالى بتأثير هذا الشعور ولا أبالى، وقد أرضيت الوجدان وأبديت الحق الصراح بما عساه بعد ذلك أن يكون هذا خلقى فى كثير مما نظمت وسيكون خلقى فى جميع ما سأنظم إن شاء الله.

أما منزلتى فى الشعور والحكم علىّ باعتبارى شاعراً فهذا ما لا عناية لى به ولا اهتمام لى بشأنه وما الأمر فيه إلا بيد الأجيال المقبلة وحدها إن شاءت كنت لديها من المحسنين، وإن لم تشأ فلا حرج عليها، على أنى لا أعنى فى قولى إلا بإبداء شعورى الخاص وشعور الرأى العام وإبراز ما تدعه الحوادث الهامة فى النفوس الوطنية من آثارها فى صورة عامة الشعب ولا تأباها خاصته. ولست بمدعٍ أنى أستطيع أن أسبح فى بحار الخيال وأحلق فى أجواء المجاز كما يفعل غالب الشعراء إلا أننى أضرب عن ذلك صفحاً وأعمد إلى الحقائق السهلة والمعانى المألوفة فأصوغها فى صور مناسبة من القول. كلا فما أنا بقائل ذلك ولا مدعيه لنفسى. وإنما أنا مرسل من الشعر بين ما قومى ما يطمئن إليه قلبى وتشعر به نفسى ثم يكون للحوادث راويا وللتاريخ واعياً وللعامة منعها وللخاصة مذكراً راويا هذا ما أقوله عن نفسى ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولقد أضلنى الشعراء من قبل فطرقت فى بدء محاولتى النظم موضوعات لا خير فيها للبلاد ولا ذكر للأمة والوطن. وقد جئت بشىء منها فى ذيل الكتاب ليكون مثالاً رادعاً يرى فيه القارئ صوراً تقريبية تمثل طبائع أكثر الشعراء وتقدر آمالهم فى الحياة وتكشف النقاب عما تسوله لهم أنفسهم وتوحيه إليهم شياطينهم، أما عذرى فى ذلك إن حاولت الاعتذار فذاك أننى كنت فى معزل عن الحركة الوطنية لا أعرف من أمرها شيئاً وحسبى أنى ولدت فى مدينة دمياط ونشأت فيها بين قوم كرام غير أنهم «محافظون» يعبدون الحكام كأنهم آلهة يحيون ويميتون ثم لا يكادون يذكرون الوطن والوطنية على الإطلاق. ولقد بقيت فيهم حتى ناهزت الثانية والعشرين من العمر، ثم غادرتهم آسف مسروراً ميمماً القاهرة «يوم الخميس ٤ أبريل سنة ١٩٠٧» على أنهم لا يزالون إلا قليلاً - من نشئهم المأمول - أبعد العباد عن ذكر البلاد.

هذ عذرى وهذه خلاصة قولى عن نفسى. وتلك «وطنيتى» أقدمها إلى امتى. وهى باكورة أقوالى وفاتحة كتبى والله كفيل بتحقيق أملى فى مستقبل عملى وهو ولى العاملين ونصير المخلصين.

* * *

بقى على أن أذكر فى ختام هذه المقدمة شيئاً عن «المرسليز» وهو النشيد الفرنسى الشهير الذى أتى على ذكره رئيس الحزب الوطنى فى كلمته ولقد رأيت أن أتبع ذلك بذكر أنشودتين جميلتين ومنظومتين وطنيتين أولاهما تلقن لصغار الأطفال بفرنسا وثانيهما تهيج الشجون وتجرى الشئون وتحبب إلى النفوس الجهاد حتى الممات فى سبيل الوطن المفدى وهى لرجل فرنسا وشاعرها الكبير «فيكتور هوجو». ليكون ذلك نموذجاً يراه شعراؤنا فينسجون على منواله ويربون الأمة من أطفالها إلى كهولها على حب الوطن وتمجيد الوطنيين بجميل أشعارهم وبديع أناشيدهم، وقد توخيت فى ذلك نشر النص الفرنسى حرصاً على سمو معناه وبلاغة مبناه مستعيناً على فهم ما لم أفهم من مفرداته وتأليف عباراته ببعض إخوانى المتشبعين بمعرفة هذه اللغة الرقية. الواردين مناهلها العذبة الصافية جعلهم الله ذخراً للوطن وعوناً للمواطنين.



المرسليز La Marseillaise

هبت الأمة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر بعد الميلاد ونهضت نهضة الليث القوى عاملة على الخلاص من قبضة الحكم الملوكى الظالم الذى سامها الخسف والهوان. وأثقل كاهلها بالضرائب والمغارم ساعية دائبة وراء الحرية والإخاء والمساواة.

وكان ملك فرنسا فى ذلك الحين «لويس السادس عشر» مستسلماً لإرادة حاشيته الظالمة وزوجته المستبدة المسرفة «مارى أنطوانيت» تلك المرأة النمساوية بنت ملك النمسا «فرنسوا الأول» التى ولدت فى فيينا وتزوجها ذلك الملك الضعيف فأصبحت ملكة لفرنسا. وقد كانت حمقاء عدوة للإصلاح و لإنصاف وكانت تحتقر الشعب الفرنسى الكريم وتعامله معاملة يأباها الحر وتعافها النفس الشريفة وهى التى دفعت زوجها الملك إلى مصادرة الأحرار والوقوف فى وجوههم فلما اشتدت الأزمة وحمى وطيس[1] الثورة كتبت إلى أبيها مستنجدة مستجيرة فلم تغنها تلك الجيوش الأجنبية والجنود الجرارة المنتصرة للملوكية بل كن الغلب للأمة والنصر العزيز لفرنسا الحرة وقد سجنت هذه المرأة الطاغية ثم لقيت حتفها بآلة الإعدام ـ المقصلة ـ فى ١٦ أكتوبر سنة ١٧٩٣ ولحقت بزوجها الذى ناله مانالها ودالت دولة الغى والطغيان وكذلك عاقبة الظالمين.

وليتها وهى أجنبية غريبة عن العائلة المالكة كانت تحترم إرادة الشعب الذى يحترم إرادتها ويقى حكومتها بأمواله ورجاله من حادثات الليالى وطوارق الخطوب ولولاه لما استقرت للحكومة قدم فى الوجود ولما تجلت ملكة أو اعتز ملك

(١) الوطيس التنور وحمى وطيس هذا الامر أي اشتد واشتعلت ناره.

بأبهة الملك وعظمة الدولة بل لولا الشعب لثلت العروش وانتزعت التيجان من الرؤوس وحل بالحكومة الويل والهوان.

لم تتدبر هذه الملكة الظالمة فى أمرها وسارت فى الأمة سيرة الملوك المطلقين والحكام المستبدين فقابت إحسان الرعية بالكفران مستعزة بسلطان الملك مضللة بشياطين الملوك.

وكانت ترى أنها مالكة الرقاب ومقدرة الأرزاق ـ كما يرى بعض الحكام فى هذه العصور فاستحقت غضب الشعب ويا ويل الحكومة من غضب الشعب وكانت عاقبة أمرها الهلاك والدمار.

قامت الأمة قومة واحدة تدفع العار عن نفسها وتشيد للوطن مجداً باذخاً وعزّاً منيعاً فأرادت دول الظلم وأنصار التقهقر مصادرة الأمة ومحاربتها وضربت جيوش النمسا على شاطئ نهرى الرين أمام تلك المدينة العظيمة العريقة فى فرنسيتها ومجدها التلد ستراسبورج[1] وكان بهذه المدينة منذ حدثت مسألة الحرب حركة وطنية واستمرت نحو ستة أشهر فكانت جماعات المتطوعين وفرق الشبان المشتعلين غيرة ووطنية تفد إليها من باب. فى حين أن جماعات المحاربين كانوا يذهبون للقتال والنزال من باب آخر، وكما أن هذه المدينة كانت ساحة للحرب فقد كانت مع ذلك مسرحاً مائجاً بالشبيبة وأنواع الابتهاج وجميل المناظر وكانت تختلط ضجة آلات الكفاح المستمرة بألحان آلات الحفلات والأعياد وكان الأصدقاء يتلاقون ويتعانقون قائلاً بعضهم لبعض «الوداع. الوداع» وكانت الأخوات تبكى والأمهات تصلى وتبتهل. والآباء يقولون للأبناء: «اذهبوا وموتوا لأجل فرنسا».

---

(١) عاصمة الألزاس التي استولت عليها المانيا في حرب السبعين وانتزعتها من يد فرنسا وهي قلعة محصنة على نهر الربن وبها ساعة فلكية كبيرة.

قال إسكندر دوماس الذى نقل أكثر ما هنا عن روايته «الكونتس دى شارنى» كل هذا كان تحت دقات الأجراس ورعود المدافع وكأن هاتين الآلتين كانتا تكلمان الله تعالى مستمطرة إحداهما رحمته. راجية الأخرى عدله.

وفى بعض المرات العظيمة استدعى عمدة هذه المدينة الشبان المتطوعين الشجعان لوليمة أقامها لهم ليؤاخى بينهم وبين ضباط الحامية وكانت ابنتا العمدة وجماعة من رفيقاتهما الفتيات جالسات فى صدر هذه المائدة الوطنية ليزدنها زينة ويضاعفنها شعوراً وشرفاً وكان بين الحاضرين شاب له شأن عظيم وهو ضابط فى الهندسة الحربية مقيم فى حاملة ستراسبورج لا يتجاوز عمره عشرين عاماً. وكان شاعراً مؤثراً وموسيقيّاً مبدعاً. وكان صوته الرنان من أعظم الأصوات التى ترتفع بالحماسة والوطنية ذلك هو روجيه دى ليل Rouget de l'Isle.

ولقد كانت هذه الحفلة أعرق فى الفرنسية وأكثر فى الوطنية من كل حفلة سواها وكانت تلك المائدة مضاءة بأسطع شمس بزغت فى شهر يونية سنة ١٧٩٢ ولم يكن أحد فى الحاضرين يذكر نفسه بل الكل مشغول بذكر فرنسا والموت فى سبيلها وما كان هذا الموت إلا موتاً جميلاً مبتسماً.

وقد أرادوا أن يتغنوا بأنشودة جديدة حماسية وطنية بدل الأنشودة الفرنسية القديمة التى كانت للهياج والغضب والحرب الأهلية.

أرادوا أن تكون أنشودتهم الجديدة وطنية أخوية مهددة للأجنبى منذرة للعدو يترامى سامعها عند ذكرها بين المدافع والقنابل والقواضب غير هياب ولا وجل فهب من بينهم ذلك الضابط العظيم روجيه دى ليل قائلاً أنا لها ثم اندفع خارجاً وبينما أوشك القوم ان يقلقوا لغيابه من بينهم عاد إليهم بعد نصف ساعة منتصراً على الشعر والموسيقى مرتمياً شَعره على ظهره متناثراً عرق جبينه وهو يلهث[1] من

(١) لهث الرجل اعيا وتعب وبابه قطع.

المعركة التى اصطلى نارها بين الأختين الجليلتين ـ الشعر والموسيقى ـ حتى انتصر عليهما فقال لهم اصغوا إلى جميعاً وكان على ثقة من شاعريته وتأثير شعره فلما سمعوا صوته توجهت أنظارهم إليه ووقفوا له إجلالاً وكان البعض آخذاً قدحه فى يده والبعض ممسكاً بيده يداً أخرى مرتجفة فابتدأ روجيه بالمقطوعة الأولى وما كاد ينتهى من توقعيها حتى أخذت القوم هزة الوطنية ودوى المكان بصيحاتهم ولكن أصواتاً أخرى دعتهم إلى الإصغاء فأصغوا فاستمر روجيه فى لحنه وشعره مرسلاً من القلب إلى القلب رسول الوجد والأنين حتى وصل إلى لمقطوعة الأخيرة فأنشدها بصوت عال ونغمة مهيجة بعد أن اضطر إلى أن يطلب من سامعيه الذين لم يتماسكوا أنفسهم من الانفعال والهياج أن يستمعوا له وقد كان فى هذا الصوت مهدداً متوعداً فصاح الكل صيحة التأمين والمبايعة على نصرة الوطن ودفع الآباء أبناءَهم الذين يستطيعون المشى إلى الأمام. ورفعت الأمهات صغار أولادهن الذين لم يبلغوا درجة إخوتهم على أذرعهن ليكونوا جميعاً فداء الوطن المقدس فشعر روجيه حينئذ بأنه تنقصه مقطوعة تكون غناء للأطفال ولحناً جليلاً لرجال المستقبل وكان القوم يرددون بين المقطوعة والأخرى مقطوعة صغيرة خاصة بالترديد والترجيع فتركهم روجيه يرددون نغماته الرنانة وأسند رأسه إلى يده ولم تحل هذه الضجة وأصوات التحبيذ بينه وبين ما أراد فصنع المقطوعة التى رامها وأنشدها بين عبرات الأمهات وزفراتهن وصيحات الآباء وإعجباهم فلم يسمع عند ذلك غير أصوات الأطفال الصغار التى كانت ترد عليه برقتها وصفائها بين الأنات والصيحات، ولما أفاق القوم قال بعضهم ألا نعفو عن أولئك الذين ضلوا سواء السبيل منا؟ فقال روجيه هذا ما لا أنساه وأنشد مقطوعة مقدسة تمثل روح فرنسا الطاهرة وإنسانيتها وعظمتها وجلالها قال فيها:

« أيها الفرنسيون المحاربون الأقوياء حولوا طعناتكم وتجاوزوا عن هؤلاء

اضحايا المساكين الذين تسلحوا ضدكم بالحسرة والندم» وكان التصفيق يقاطعه والأصوات من كل جانب مرددة كلمة العفو والصفح عن المستعبدين المدفوعين مكرهين ضد أمتهم.

ثم أنشد مقطوعة ضج لها المكان واشتعلت القلوب ناراً ضد الظالمين والذين شاركوهم فى الجناية مختارين من أبناء فرنسا الخائنين أولئك الذين فقدوا الرحمة ومزقوا ثدى أمهم البارة وبعد أن ردوا عليه قال «الآن يجب أن تركعوا جميعاً كيفما كنتم» فركعوا أجمعين وبقى وحده واقفاً وإحدى قدميه على كرسى أحدهم كأنهم يضعها على الدرجة الأولى من هيكل الحرية والمجد وقد رفع ذراعيه نحو السماء وانشد المقطوعة الأخيرة. فدوى المكان بصوت واحد قائلاً «هلموا فقد نجت فرنسا» وارتفعت كلمات اللعن والغضب على الظلم والاستبداد. وعلى ثر ذلك أسكر القوم باعث السرور وأخذهم جنون الفرح فارتمى كل واحد في أحضان جاره، وأخذت الفتيات الأزاهير بملء يديها ونظمتها طاقات جعلت منها كاليل عند قدمى روجيه وكتب الله النصر والظفر لهؤلاء القوم المجاهدين الأحرار. وكان هذا النشيد خير باعث على الجهاد ومشجع على مواقف القتال والانتصار. وكما أنه عمل لحرب جيش الرين وعرف باسم «نشيد حرب جيش الرين» فقد كان أيضاً نشيد إخاء وائتلاف واتحاد ولما كان أهل مرسيليا «Les Marseillais» هم أول من حمله إلى باريس ولقنوه لأهلها فقد أخذ اسمهم وانتشر فى جميع أنحاء فرنسا باسم «المرسليز».

أما القطعة الأولى من هذا النشيد الوطنى المؤثر فهذا نصها:

“Allons, enfants de la patrie.

le jour de gloire est arrivé.

Conter nous de la tyrannie.

l’etendard sanglant est levé.

Entendrdez-vous dans nos campagnes.

Rugir ces féroces soldats.

Ils viennent jusque dans nos bras.

Egorger nos fils, nos compagnes.

وهذا شعاع من ضوء معناها الساطع:

هلموا يا أبناء الوطن فقد لاح يوم المجد.

لقد رفعوا ضدنا علم الظلم الدامى فهل تسمعون أصوات هذه الجنود المتوحشة بين أحيائنا.

لقد أصبحوا بين ذراعينا يذبحون أولادنا ورفاقنا.

اما رد القوم على كل قطعة فهذا نصه:

"Aux armes, citoysns ! formez vos bataillons.

Marchons, marchons.

Qu'un sang impur abreuve nos sillons.

اى ـ السلاح السلاح يا بنى الوطنى كَوِّنوا صفوفكم ولنسر إلى الأمام إلى الأمام وليرو دمهم الفاسد أخاديد[1] أرضنا».

وهذا نص المقطوعة الأخيرة التى أنشدها روجيه والقوم راكعون:

" Amour sacre de la patrie.

Conduis, soutiens nos bras vengeurs.

Liperte liperlè cheriè.

Combats avec tes defènseurs.

Sous nos drapeaux, que la victoire.

Accoure a tes males accents.

(١) الاخاديد جمع اخدود وهو المستطيل في الأرض.

Qne nos ennemis expirants.

Voient ton triomphe et notre gloire".

«أى ـ يا حب الوطن المقدس أشدد أزرنا وقو سواعدنا المنتقمة.

أيتها الحرية، أيتها الحرية العزيزة، حاربى مع المدافعين عنك.

وليسارع النصر تحت أعلامنا إلى إجابة ندائك العالى وصوتك القوى.

ولينظر أعداؤنا المندحرون انتصارك ومجدنا العظيم».

فليت شعرى أى شعب يسير فيه مثل هذا النشيد ويأخذ بفؤاده هذا التأثر وحب الحرية ثم لا يكون خير الشعوب وأرقاها؟ وأية أمة ينالها ما نال فرنسا فى هذا العهد من الظلم والإرهاق ثم لا تكون عقباها السعادة الدائمة والحياة الخالدة؟

الا أنه مما لا ريب فيه أن الحكومة كلما انتهجت منهج الجور وسلكت سبل العسف فتحت من حيث لا تدرى للأمة أبواب الحرية الواسعة، وهدتها طرق السعادة المنشودة. والضغط لا محالة محدث الانفجار.

فطوبى لأمة تقوضت فى ديارها دعائم العدل. ووقف حكامها لها بكل سبيل وقفة الذئاب أمام الشياه. فنظرت ذات اليمين وذات الشمال مستجيرة مستعيذة فما رأت غير ظلم وظلام. يأخذ أموالها الحاكم المستبد بإحدى يديه. ويسومها سوء العذاب باليد الأخرى. فهو يجيعها ليشبع ويفقرها ليغنى. ويذلها ليعز. ثم يسد فى وجهها مناهل العلم. لتنفسح أمامه مناهج الظلم. حتى إذا ما رفعت رأسا أثقلته المظالم، أو فتحت عينا أغمضتها رؤية الظالم، أوشكت وبكت، ثم استرحمت واستنصفت كانت الطامة الكبرى عليها والويل الأعظم لها ولا يزال هذا حالها مع حكامها حتى تفيض الكاس. ولا تجد النفس طاقة لها على ما احتملت ويرتفع بين الأمة صوت الإباء مردداً قول أبى العلاء[1].

(١) هو أبو العلاء المعري احد فلاسفة الإسلام الكبراء وشعرائه الحكماء ولد في معرة النعمان بالشام سنة ٣٦٣ ومات سنة ٤٤٩ هجرية رحمه الله تعالى.

مل المقـام فكم أعـاشـر أمـة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

هنالك تشرق شمس الانتقام وتأخذ الشعب نشوة الانتصار وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن يوم الظالمين يوم عصيب هنالك يغير الله حالاً بعد حال. وتستوى الأمة على عرشها، تدير دفة الحكم بيدها. وتسير القضاء العدل بإرادتها، هنالك ينادى منادى الحكومة الأهلية الدستورية العادلة بصوت مدو فى أرجاء البلاد أن «لا ظلم اليوم. لا ظلم اليوم».

تلك عاقبة جور الحكومات وصبر الأمم وكذلك كان شأن فرنسا وأنها لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

هذه خلاصة ما أرويه وأبديه فى تاريخ المرسليز وموضوعه الخطير أما الأنشودتان الأخريان فهما هما:



الأنشودة الأولى « فرنسا »

La France

"La France est bell.
Ses destins sont benis.
Vivons pour elle!
Vivons Unis!
Passez les monts, passez les mers.
Visitez cent climats divers,
Loin d'elle au bout de l'univers.
Vous chanterez pour elle:
La France est belle etc"

ومغزاها ما يأتى :

« فرنسا جميلة مباركة الحظوظ، فلنحى لأجلها ولنعش متحدين يا بنى فرنسا اجتازوا الجبال واعبروا البحار وجولوا فى أطراف العالم بعيدين عنها ثم أنشدوا لها : « فرنسا جميلة مباركة الحظوظ إلخ » .

هذه أنشودة صغيرة لطيفة يتناولها كما يتناول كثيراً من أمثالها أبناء فرنسا في طفولتهم ولا يكادون يصلون إلى سن الشبيبة أو الكهولة أو الشيخوخة حتى يتناولوا من أناشيد شعرائهم وقصائد أدبائهم على اختلاف درجاتهم ما يشد عزائمهم ويقوى سواعدهم ويحيى نفوسهم على حب الوطن والتغنى بذكراه. فهل لأطفالنا أو لشباننا أو لكهولنا وشيوخنا من شعرائنا ما لهؤلاء السعداء من شعرائهم؟ وهل لمصر ما لفرنسا من حياة الشعر الوطنى ونهضة الشعراء الوطنيين؟

الأنشودة الثانية «الوطن»

La patrie

"Ceux qui pieusement sont morts pour la patrie.

Ont. droit qu'a leur cercueil la foule vienne et prie.

Entre les puls beaux noms leur nom est le plus beau.

Toute gloire pres d'eux passe et tombe ephemere.

et comme ferait une mere.

la voix d'un peuple entier les berce en leur ombenu.

Gloire a notre France eternelle!

Gloire a ceux qui sont morts pour elle!

Aux martyrs! Aux vaillants! Aux! forts!

A ceux pu'enflamme leur exemple.

Qui veulent place danse le temple.

Et qui mourront comme ils sont morts!

C'est pour ces morts, dont l'ombre est ici bienvenue.

Que le haut pantheon eleve dans la nue

Au dessus de Paris, la ville aux mille tours.

La reine de nos Tyrs et des nos Babylones Cetts couronne de colonnes.

Que :e soleil levant redore tous les jours!

Gloire a notre Fradce eternelle!

Gloire a ceux qui sont morts pour elle! etc.

Ains: quand de tels morts sont couches dans la tombe.

En vain l'oubli, nuit sombre ou va tout ce qui tombe.

Passe sur leur sepulcre ou nous nous inclinons.

Chaque jour pour eux seuls se levant plus fidele.

La gloire, aube toujours nouvelle.

Fait luire leur memoire et redore leurs noms!

«Glo.re a notre France etenelle!

Gloire a ceux qui sont morts pour elle! etc».

وهذه خلاصة وجيزة لما يرمى إليه مغزى هذى الأنشودة السامية المؤثرة من المعانى الوطنية الكبيرة التى لا تستطيع لغة غير لغتها ولا أسلوب غير أسلوبها أن يبرز أسرارها ويبين معانيها كما هى للقارئين:

«ألا إن الذين يموتون أتقياء فى سبيل الوطن ليستوجبون وفود الجماهير إليهم حافين من حول نعشهم مصلين راجين.

أن أسماءهم بين أجمل الأسماء وأجلها لأجل وأجمل.

كل مجد لا محالة زائل إذا قيس إلى مجدهم العظيم الدائم.

إن صوت الشعب بأكمله ليهـزهم فى قبورهم هزة حنو وانعطاف كما تهز الأم ولدها.

المجد لفرنسا وطننا الدائم. المجد للذين ماتوا لأجلها.

المجد لأولئك الشهداء الأبطال الأقوياء.

المجد للذين يشعلون بنار الغيرة والحمية قلوب المقتدين بهم.

المجد لأولئك الذين يريدون أن يتبوءوا مكاناً عالياً فى الهيكل المقدس.

المجد للذين سيموتون مثلهم فى سبيل الوطن.

ليرتفع البانتيون[1] السامى فى علاه فوق باريس.

مدينة الحصون العديدة. والبروج المشيدة. ملكة بلادنا التى كأنما لنا منها التير[2] وبابل[3] العظيمتان.

ليرتفع لأولئك الأموات الذين لا يزال خيالهم موضع التحية والترحيب.

لترتفع لهم أكاليل العمدان التى كلما أشرقت عليها شمس الصباح جددت طلاءها العسجدى فزادها نوراً وجمالاً».

«المجد لفرنسا وطننا الدائم. المجد للذين ماتوا لأجلها.. إلخ».

---

(١) هو بناء عظيم أنشئ فى باريس عاصمة فرنسا وسمى باسم الشارع المطل عليه وشيد على قمة الجبل القديم المسمى سانت جينفييف» ليكون كنيسة فلما حدثت الثورة جعلوه مدفنا لكبار الرجال وكتبوا عليه «الوطن يعترف بالجميل لرجاله العظماء» ثم عاد كنيسة واخيراً رجع لدفن العظماء بمناسبة موت فكتور هوجو صاحب هذه الأنشودة سنة ١٨٨٥.

(٢) اسم مدينة قديمة عظيمة من مدن فينيقيا شهيرة بالتجارة والصناعة.

(٣) بابل عاصمة كلدانيا القديمة وهى مشهورة بالمبانى والأعمدة الفخمة وهى من أكبر المدن وأغناها فى الشرق معروفة بأسوارها الهائلة وحدائقها المرتفعة على القضبان وهى من أعاجيب العالم وكانت قائمة على نهر الفرات فلما استولى بعض الملوك عليها حول الفرات إلى جهة أخرى وذلك سنة ٥٣٨ قبل المسيح وقد بادت.

«الا أنه حينما يمسى أمثال أولئك الأموات فى مضاجعهم عبساً يحاول لنسيان وهو ليل حالك يغيب فيه كل ما يهبط إليه أن يمر على قبورهم التى تنحنى إجلالاً وإعظاماً لها والتى لأجلها يشرق كل نهار وهو أسطع نوراً وأعظم منا عليها.

ألا إن المجد فجر دائم متجدد يزيد ذكرهم سناً وقدرهم سناء ويحلى أسماءهم برونقه الذهبى الجميل.

«المجد لفرنسا وطننا الدائم. المجد للذين ماتوا لأجلها إلخ».

* * *

كذلك كان شاعر فرنسا العظيم فيكتور هوجو[1] يمجد شهداء الوطنية وخدام الأمة. وكذلك يجب على الأمة أن تمجد أبناءها الذين قدموا حياتهم فداء للوطن وحبّاً فى خلاصه من أيدى الظالمين. يجب عليها أن تترنم بذكراهم وتخلد تاريخهم بين الصحائف والقلوب. ثم ترفع لهم تماثيل العظمة والجلال معلنة بذلك حبهم وإخلاصهم لبلادهم. معلية قدرهم وخطرهم فى العالمين.

إن الحرية ليست منحة ولا هبة من ملك أو أمير بل هى حق طبيعى للشعوب متى دبت فيها روح الإباء والاستقلال أخذته بالقوة القاهرة من أيدى مغتصبيه. وقدمت فى سبيله النفس والنفيس فهؤلاء الذين يحاربون أعداء الحرية بلوسائل النافعة وينتقمون للوطن منهم ثم ينالون الموت من يد ظالمة وهم فى سبيل جهادهم سائرون. أولئك الذين رضى الله والشعب عنهم ووجبت لهم الكرامة

(١) ولد هذا الشاعر الذى انتصر للحرية وإحياء ذكر شهدائها سنة ١٨٠٢ فى إحدى بلاد فرنسا بزنسون وزار إيطاليا وإسبانيا وباريس فى طفولته وكان يقول الشعر وعمره عشر سنوات ولما كبر أقام فى باريس والتحق بمجامعها العلمية الكبرى وسمى المدافع عن الحرية ولما جاء دور انقلاب الحكومة ترك باريس فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٥١ ولم يعد إلا فى ٤ ديسمبر سنة ١٨٧٠ وبقى بها حتى توفى سنة ١٨٨٥ وكانت جنازته عظيمة لم يكد يسبق لها مثال وقد دفن فى البانتيون.

الدائمة. والذكرى الخالدة. وكان على الأمة أن تتمثل فى خيالهم مرحبة به محيية له. وعلى شعرائها أن ينهجوا منهج هذا الشاعر الكبير فى تمجيدهم وإجلالهم.

فحيا الله فرنسا فقد أفاضت على الأمم من معين الحرية عذباً زلالا وجاهدت فى سبيل الوطنية جهادا وعت القلوب ذكره، وأشربت النفوس حبه فعسى أن نكون على آثارها مهتدين وعلى منوال شعرائها ناسجين. حتى نغدو بنصر الله فائزين.. والله مع الصابرين.



رسم المؤلف موسوما بتوقيعه

طيف الوطنية

في سلام الليل حاربت المناما فسلاماً أيها الطيف سلاما
مرحباً بالزائر الساري إلى مضجع الحب يحيي المستهاما
ليت شعري هل رأى في مضجعي شبحاً يشكو إلى الله السقاما
وهل الدمع الذي أغرقني كان عند الطيف دمعاً أم ضراما ؟
وهل النجم الذي أرصده أبصر الزائر في عيني فهاما ؟
كل شيء بات حولي مغرماً أينما أبصرت ألفيت[1] الغراما
أيها الليل ترحل أو أقم فسواء كنت نوراً أم ظلاما
لست أشكو الهجر من فاتنة تشتكي مثلي ولوعاً[2] وهياما
نحن صنوان[3] قضينا حقبة في ربوع النيل نستندي الغماما
نبصر الفيض[4] بمصر جارياً بيد أن القوم يشكون الأواما
ظمأ قاض[5] ونيل فائض ودموع جاريت السحب انسجاما[7]
وعداة ماسكوا الأمر ولم يحفظوا للشعب في حق ذماما[8]

---

(١) وجدت.

(٢) اي كلفاً وميلاً شديداً.

(٣) إخوان. (٤) النيل.

(٥) حر العطش. (٦) مهلك.

(٧) اي انسكابا وسيلانا.

(٨) الذمام ما لا يحل انتهاكه من الحرمات.

ولاة أقسموا أن يسجدوا[1] كلما رام العدا منهم مراما
رَبّ ماذا يصنع المصري إن جاوز الصبر مدى[2] الصدر فقاما
طال يوم الظلم في مصر ولم ندر بعد اليوم للعدل مقاماً
هل يري المحتل أنا أمة مذ عرفنا السلم لا ندرى الخصاما
أو يري الظالم فينا أننا نحمل الخسف[3] ولا نبغى انتقاما
زعموا زوراً فما من أمة سامها العسف[4] ظلوم ثم داما
إنما الشعب الذي يرجو العلا ليس يرضى من أعاديه اهتضاما[5]
كتب النصر لشعب ناهض في سبيل المجد لا يخشى الحماما

وطنى يناجى ربه

رب إن البلاد أرهقها[6] الظلـ ـم وحاقت[7] بأهلها البأساء[8]
رب إن الصدور أحرجها[9] الوجـ ـدو أودت[10] بحملها الأرزاء[11]
فتدارك بلطفك النيل حتى لا تجارى حياة مصر دماء

---

(١) يخضعوا. (٢) المدى الغاية.
(٣) اى الذل. (٤) أي الظلم.
(٥) اى ظلماً.
(٦) اى اعسرها والجاها.
(٧) أحاطت. (٨) الشدة.
(٩) اى ضيقها.
(١٠) اى ذهب به وقضى عليه.
(١١) جمع رزء وهو المصيبة.

على لسان الأمير

قبل خروج كرومر من مصر[1]

أنا العبـاس لي في ملك مـصـر ... مـقـام دونه مُلك العـزيـز[2]

فـمـالي لا أجـيـب نـداء شـعـبي ... وشـعـبي خيـر حـرز لي حـريز[3]

ألا إنـي سـأمـنـحـه مـنـاه ... من الدسـتـور رغم الإنجليـز



(١) خرج كرومر من مصر اثر مسالة دنشواى التى فضحت الاحتلال وعميده فى هذه الديار فضيحة دوى ذكرها فى العالم أجمع وسجلت العار والوحشية على المستعمرين من الإنجليز. وقد حاول هذا الطاغية ان يستر خروجه بثوب المرض الكاذب ولكنه لم يستطع وانهتك ستره وغادر مصر غير ماسوف عليه يوم الاثنين ٦ مايو سنة ١٩٠٧ بعد ان مكث بها ٢٥ عاماً تقريباً.

(٢) العزيز هو يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام والذى استولى على خزائن مصر وصرف أمورها بيد سلطانه وحكمته وجاءه إخوته مستجدين مسترحمين قال الله تعالى «فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة» «أى قليلة» فاوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزى المتصدقين. الآية».

(٣) الحرز الحريز الحصن الحصين.

على لسان كرومر
بعد تأليفه «مصر الحديثة»[1]

خرجت من مصر مقهوراً ومرذولا وصح أني تركت القصر[2] معزولا

فقمت غيظاً وألفت «الكتاب» وفي قلبي لهيب إذا ما أذكر النيلا



(١) مصر الحديثة اسم كتاب الفه لورد كرومر عقب خروجه من مصر وقد حشاه طعناً وقدفاً في مصر والمصريين والإسلام والمسلمين لحاه الله.

(٢) أي قصر الدوبارة.

مصطفى كامل فى حياته ومماته

آية الإخلاص[1]

اصدع بقولك إن أردت مقالا ... فالقوم جندك إن دعوت رجالا
لم تدر مصر سوى حماك تؤمه ... فترى به آلامها آمالا
أقبل على الوطن العزيز بصارم[2] ... لا تدرك الأعداء منه كلالا[3]
وانشر به فوق الطروس[4] حمية ... تحكى حمية صنوه إن صالا[5]

* * *

واعمل على الرشد القويم لأمة ... يبغى سواك برشدها إضلالا
حسدوك إذا أمسيت بدراً كاملاً ... من قبل أن يمسى سواك هلالا
ورأوك تقتحم[6] الصعاب بهمة ... لم تدر فيما تبتغيه ملالا[7]
وتجادل الخصم العنيد بقوة ... حسبوا لها بعد الجدال نزالا
جبنوا لعمرك عن طلاب حقوقهم ... حتى بدا لهم المقال قتالا

---

(١) قدمت هذه القصيدة إلى فقيد الوطن المرحوم مصطفى كامل باشا عقب خطبته الأخيرة بالإسكندرية التى كون فيها الحزب الوطنى وأعلن مبادئه العشرة فى مساء الثلاثاء ١٥ رمضان سنة ١٣٢٥ ـ ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ وهى أول قصيدة نظمتها فى القاهرة وذكرت فيها شيئاً عن الحركة الوطنية. وقد التحقت عقبها بالحزب الوطنى واعتبرت من أعضائه العاملين فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٠٧ .

(٢) أى باليراع الشبيه بالسيف الصارم.

(٣) أى ضعفا وإعياء. (٤) الصحائف.

(٥) صنو اليراع الحسام.

(٦) أى ترمى بنفسك وتدخلها فى الشدائد والصعاب. (٧) سأما.

هذى سبيلهم التى أولتهمو[1] ذل النفوس فسالموا الإذلالا
باعوا المواطن بالمآرب وانثنوا في كل قول ينشدون نوالا[2]
والمال يذهب بالنفوس مذاهبا تتبين الأخيار والأنذالا
حسبوا الحمى عرضا من الأعراض أو غرضاً من الأغراض أسوأ حالا
جعلوا «المعية» عرضة لسهامهم فتقولت رقباؤها الأقوالا
والله يعلم أنها ما أدركت من ودهم إلا الظنون منالا
فاصبر فسوف يذيقهم بأس الحمى ـ إن أضمروا ـ هذا العداء وبالا
واهنأ ولاق النائبات بعزمة لا تنثنى أو تصدع الأجبالا[3]
أنت الرئيس إذا أردت رآسة والقطر حزبك يمنة وشمالا
فانشر به علم السلام مجاهدا حتى ترد لمصر مجداً زالا
واهزم بنى التاميز[4] أين لقيتهم واشهر حساما لا يمل نضالا[5]
ودع «الدخيل»[6] مع الذين دعاهمو عقلاء مصر وأولهم إهمالا
واعلم وأنت بهم عليم أنهم لم يبلغوا إلا السقوط مآلا

(١) اي أعظمتهم. (٢) عطاء.

(٣) اي تشقق الجبل.

(٤) التايمز أعظم انهار انجلترا يمر ببلدة اكسفورد الشهيرة بجامعتها ثم بلندن عاصمة بلاد الإنجليز.

(٥) أي دفاعاً.

(٦) أطلقت كلمة الدخلاء في مصر علي جمعة الغرباء الذين جاءوا إليها لا يملكون غير الأرض وطاء والسماء غطاء فاكرمت مثواهم وافاضت بركتها عليهم فاصبحوا بنعمتها من المترفين المثرين ولكنهم جحدوا فضلها وحالفوا أعداءها عليها وحاربوا أهلها الكرام حرباً عواناً فاستوجبوا كراهة الأمة وباءوا بسخطها عليهم وهو إطلاق لا يتفق تماماً مع المعنى للغوي ولا يؤدي الغرض المراد من التحقير والأولي أن يستعمل لفظ واغل مكان دخيل فإن الواغل هو الذي يدخل علي القوم في شرابهم فيشرب معهم من تلقاء نفسه ولذلك يكدر صفاءهم.

وكـــذاك من خـــان البـــلاد فـــإنه ... ســـينال بين العـــالمين نكـالا[1]

هذا شـعـور ضـقت عن كـتـمـانه ... ذرعاً[2] فبحت ولا أهاب جدالا[3]

ورجـوت أن أغـدو لحـزبك ناصـراً ... يغـتـال من خـصـمـائه الآجـالا

فــادأب على إنهــاض أمـتك التي ... ترجـو وراء خطاك الاسـتـقـلالا

❀ ❀ ❀

(١) أي سيكون خائن البلاد عبرة لغيره.

(٢) أي لم أقو علي كتمانه ولم اطقه.

(٣) أول مراتب الشجاعة الادبية الجهر بالحق وعدم المبالاة بمعارضه المعارضين وجدالهم فيه.

آية الأسف[1]

حامى الأوطان روعت الحمى ... حينما أمسيت عنه محجما

نحن لم نعهدك إلا باسلا ... إن دهانا الخطب كنت المقدما

كيف تنأى اليوم عنا راحلا ... بينما خطب البلاد احتدما

من لمصر بعد ذلك النأى إن ... أصبحت تشكو الضنا والسقما

ومن الآن وقد حم[2] القضا ... يفتدينا إن خشينا العدما

كنت الداء دواء كلما ... هيج الداء العنا والألما

فانهض اليوم وأوجد أنفسا ... أوشكت بين الجوى أن تعدما

إن مصر اليوم ثكلى دمعها ... مازج النيل فأجراه دما

يا حياة النيل جف النيل من ... وهج[3] الوجد وأسقانا الظما

يا فقيد الشرق ضلت أمة ... كنت تهديها الصراط الأقوما

يا خطيباً خطبه هد القوى ... بعد ما كنت بناء محكما

إن يوماً كنت فيه ناطقاً ... كانت الألسن تخشى الكلما

---

(١) أدركنى نبأ وفاة فقيد الوطن المغفور له مصطفى كامل باشا وكنت إذ ذاك قد عدت إلى دمياط زائراً فأعلنت الأسف العام فى المدينة ونظمت هذه المرثاة و لقيتها فى محفل حافل بجامع البحر بعد صلاة يوم الجمعة ١٢ محرم سنة ١٣٢٦ وشاطرنى التأبين كثير من الأدباء أما هذا الفقيد العظيم فقد ولد ليلة الجمعة ٢ رجب سنة ١٢٩١ وتوفى عصر يوم الاثنين ٨ محرم سنة ١٣٢٦ وشاطرنى التأبين كثير من الأدباء، أما هذا الفقيد العظيم نقد ولد ليد الأثنين ٢ رجب سنة ١٢٩١ وتوفى عصر يوم الأثنين ٨ محرم سنة ١٣٢٦ ودفن فى اليوم التالى واحتفلت الأمة بجنازته احتفالاً لم يعرف له نظير من قبل فى مصر رحمه الله ورضى عنه.

(٢) حم وأحم بالبناء للمجهول بمعنى قدر وحتم فهو محموم.

(٣) الوهج بفتحتين حر النار.

فعلام اليوم تغدو صامتاً | وهى تروى عن نهاك الحكما
أنت علمت البلاد القول إن | أبصر القائل حقّاً هضما
أنت أوجدت الشعور الحى فى | أمة النيل فأحييت أمما
أنت أعربت لنا عن مبدإٍ | أنطق العرب به والعجما
ونشرت العدل والنور وقد | كان فينا الظلم يعلو الظلما[1]
لم تزل تسعى لمجد خالد | لا تبالى أن نبا[2] أو عظما
فبلغت المجد حتى أصبحت | لك أوروبا ومصر خدما
إن تقل فى تلك أو فى هذه | أصبح القول لديها مغنما
وإذا أبديت رأيا بينهما | كان رأياً بينها محترما
شهرة فى الخافقين انبعثت | نبهت فى العالمين الهمما
وثبات لا ينى[3] أو ينثني[4] | قبل أن يقضي القضاء المبرما[5]
إن تاريخك يحيا خالداً | فى نفوس الشعب يوحي العظما

* * *

فلتنح مصر وأهلوها على | ذلك المجد الذى قد هدما
أيها الموت اتئد نحو الصبا | وإذا شئت فواف الهرما
إن هذا الغصن فى روض المنى | ينفح القطر الندى والكرما
كيف لم تمهله يا موت ولم | ترع هاتيك العلا والشيما؟

* * *

يا رئيس الحزب إني مخلص | مثلما تعهد أرعى الذمما

---

(١) الظلم بتشديد الظاء المضمومة جمع ظلمة اى ظلام.

(٢) بعد.

(٣) يضعف.

(٤) يضعف.

(٥) اى الحكم الذى لا مرد له.

إنــنــي أبــكــي بــقــلــب آســف قــد أقــام الوجـد فــيــه مــأتمـا[1]
ولو اسـطعت لكـنـت الأمـس في مـشـهـد التـشـيـيـع منهل[2] الدما
أنـظر الـنـعش وقــد حــفـت بـه فـتـيـة العلم وخـيــر العلمـا[3]
وأرى الـقــوم وقــد نـادى بهـم هاتـف الوجـدان حـيـوا العلمـا
مــشــهــد أدهـش من أبـصــره سـار أهـل الأرض فـيـه والـسـمـا
أيقـنت فــيــه نـفــوس أبصـرت غــاية الـدنيــا الأسـى والـنـدمـا
إنما الـدنـيـــا غــــرور بـاطـل وأرى الميل إليـــهـــا مـــأثمـــا
يا بـنـي الدنـيـا كـفـاكـم واعظا أن فـقـدتم أمـس ليثـاً ضـيـغـمـا[4]
هـزم الأيام عـنـد الملـتـــقـــى وأتاه حــتــفـــه[5] فــانهــزمـا

* * *

إنـنـي أرثـيـك يا خــيـــر فــتـى عــبس الـشــرق لـه وابـتــســمـا
وبودي لـو فـــدتـك الـنـفس يا خـيــر أبـنـاء الـبـلاد الأكــرمـا
لك نـفــسـي لـو يـشــاء الموت أن يدع الـغـنـم ويرضـى المغــرمـــا
حـكـم الـلـه ولا حــــول ولا ولـه مـــا يرتـضـي أن يحـكـمـــا
فـنم الآن هـنـيــئــا بعــد مــا عـــشـت يـقـظان وعــشـنـا نُوَّمَـا
رحـم الـلـه صـــبــــاك الـغـض يا روح مـصـر وحــبـاك الـنـعـمـا

---

(١) المأتم عند العرب نساء يجتمعن في الخير والشر وقد اطلقته العامة علي ما يقام من حفلات الأموات والصواب تسميتها بالمناحات فيقال كنا في مناحة فلان لاه في مأتمه.

(٢) انهل المطر سال بشدة أي إنني كنت أبكي دماً بعد فناء الدموع.

(٣) كان نعش الفقيد ملفوفاً بالعلم المصري الكريم.

(٤) أي شجاعاً كأنه الأسد العظيم.

(٥) الحتف: الموت.

الدستور العثمانى[1]

إلى أمير المؤمنين

أمــيــر المؤمنين مـضت قلوب ... إليك يحـشـهـا الحب الكمـين

تـؤمل أن تـراك لـهـا مـعـيناً ... وأنـت عـلى الـدهر المعـين

رأتك أمـامـهـا الأمـل المرجى ... وفـيك لدائهـا البـرء المبـين

فـيـا أمل القلوب إليك مـصـر ... تشـيـر وبين جنبـيـهـا حنين

تحـن إليـك يـارب المعـالـى ... وقد حلت بسـاحـتها الشجون

رمـتـهـا الحـادثات بشـر قـوم ... لهم فى كل مظلمـة شـئـون

قـضت فى عـصرهم مصر ولولا ... رجـاء فـيك مـا قـرت عـيـون

فـأعـزز يا حـمى الإسلام شـعبـا ... بعـزك لا بذل ولا يهـون

منحت الدولـة الدسـتـور عـدلاً ... فـخـابت من أعـاديهـا الظنون

فـمـا للنيل ليس له نـصـيب ... من الدسـتـور وهو به قـمـين[2]

أيمنعنا بنو التـامـيـز حـقـا ... وأنـت أمـامنا الملك الأمـين!

لعـمـرك إن فى مـصـر أمـيـراً ... نراه ليس يحـمل مـا يشـين

وإن رضـاك غـاية مـا يرجى ... وحـبـك عنده الكنز الثـمـين

فـمـره يمنح الدسـتـور مـصـرا ... فـإن لأمـرك البـاغى يدين[3]

ومـا العـبـاس إلا خـيـر وال ... له فى ملكك الشـرف المكين

يسـيـر كـمـا تشـاء وأنت فـيـمـا ... تشـاء مليكنا الحـصن الحـصين

---

(١) أعلن الدستور العثماني رسمياً يوم ٢٤ يوليه سنة ١٩٠٨م

(٢) أي حقيق وجدير.

(٣) أي ان الظالم يخضع لأمرك فمن الأولى خضوع غيره.

إلى فريد بك رئيس الحزب الوطنى[1]

عـــاد للنيل فـــتـــاه	بأياديه العـــمـــيـــمـــه
أســـعـــد القطر لقـــاه	ورعي الـلـه قـــدومـــه
جـــــاب[2] اوربا ونـادي	أمم الغـــرب الحكـيـــمـــه
شـــاكـــيـــاً أعـــمـــال قـــوم	حـــســـبـــوا مـــصـــر غنيـمـــه
جلبـــوا الـشـــــر إلـيـنـا	بيـــد القـــهـــر الأنيـــمـــه

* * *

أمـــة المحـــتـــل أضـــحـــت	وهى في مـــصـــر ظلومـــه
ســلــبــت حـــق الأهـــالـــي	وســـبـــت حق الحكومـــه
لم يكن للعـــدل فـــيـــهـــا	مـــســـتـــقـــر فنرومـــه
إنـهـــــا أمـــــة بـطـش	وهي للحق خـــصـــيـــمـــه
اســـتـــبـــدت وادعت	إصلاحـهـا العـقـبـى الوخـيـمـه
كـــذبت والله فـــيـــمـــا	تدعي تلك اللئـــيـــمـــه

* * *

يا رئـيـس الحـــزب حـــارب	بالحـــجـــا أهل الذمـــيـــمـــه
ولك الشـــعـــب نـصـــيـــر	في الملمـــات الجـــســـيـــمـــه
إنمـــا أنـــت إمـــــــام	ذو ســـبـــيـل مـــســـتـــقـــيـمـــه
لـك حـــــزب لا يمـارى[3]	في مـــبـــاديه القـــويمه

(١) قدمت هذه الابيات في أول اغسطس سنة ٩٠٨ إلى فريد بك بعد سفره وعودته من أوروبا وهي أول رحلة له بعد وفاة رئيس الحزب الأول مصطفي كامل رحمه الله.

(٢) أي تجول فيها وقطعها.

(٣) اي ان مبادئه قويمه لا جدال فيها.

ومـعـاذ الله أن تغـ ـدو كـأصحـاب الوليـمـه[1]
نقضوا العهد ومانوا[2] وجنوا شر جريمه
أخفقوا سعياً فعادوا ومساعيهم عقيمه
وادعوا فينا اعتدالاً واستعانوا بالشتيمه
كيف يرجون منالا من أشداء الشكيمه[3]
وهمو إن طاب يوم حرموا النيل نسيمه؟

* * *

أيها القائد جاهد وأعد مصر القديمه
واذكر التاريخ مهما كانت الذكرى أليمه
باد[4] مجد القطر فابعث روحه واحي رميمه
إن آمالا كباراً فيك أضحت مستهيمه
فارعها وابق ملاذا لبني مصر الكريمه



(١) هم جماعة من المعتدلين ذهبوا إلي لو ندره والقوا خطباً في وليمة بين جماعة من الإنجليز ونوابهم استوجبت سخط الوطنيين في مصر وحمل عليها لاجلها «اللواء» في عهد المرحوم مصطفي كامل حملات شديدة.

(٢) كذبوا.

(٣) أذ ذوو الانفة والكبر والاباء وهم الإنجليز الغاصبون الطامعون.

(٤) أي ذهب وفني.

الدستـــور
وحديث شاعر الأمير[1]

يا شاعر الأمراء ويحك هل ترى	فى النثر ما فى النظم من خطرات ؟
إنى رأيتك فى حديثك شاعرا	لكن خيالك زائغ النظرات
أبدعت فى هذا الحديث فلم يجئ	أحد سواك بهذه الكلمات
وأسأت للبلد الأمين وأنها	لكبيرة من كاتب الحسنات
وعكست آمال العباد وأنهم	أولى بذيل العطف والرحمات
هل يرتجى العباس إلا رحمة	للناس بعد شدائد الويلات ؟
أو ينبغى فى مصر إلا أن يرى	شعبا يجد لأشرف الغايات ؟
يا شاعر النيل العظيم أما ترى	للنيل ألا أسوأ الحالات
ما كنت أحسب أن مثلك وهو فى	شعراء مصر صاحب الآيات
يجنى على الشعب الكريم جناية	ويود أن يبقى مع الأموات
ياليت شعرى هل رأيت كما أرى	أن المؤيد معهد الهفوات
فنشرت فيه ما نشرت وإنما	هى زلة من أكبر الزلات
أو أنت تروى عن سواك حديثه	كيما نرى الدستور ليس بآت

---

(١) نشر المؤيد حديثاً جرى بين نائبه بالإسكندرية وشاعر الأمير احمد بك شوقى يتضمن أن سمو الخديو لا يستطيع منح الدستور بغير إرادة المحتلين ورضائهم ويؤيد مذهب اليأس والقنوط والشك فى اهلية الأمة وكفاءتها وكان ذلك فى شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨ بينما كانت عرائض طلب الدستور ترى على سمو الأمير فى ذلك الحين من كل صوب وللحزب الوطنى وحده من هذه الطلبات ما يناهز الخمسين الف طلب . وقد تناولت الصحف الوطنية هذا الحديث بما يستحقه من الرد والتقريع أما هذه الأبيات فقد نشرت بجريدة الدستور يوم الأربعاء ٢٧ شعبان سنة ١٣٢٦ ـ ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٠٨ .

والله يعلم أننا لا ننثني يوماً ... ولا نلهو عن الطلبات

حتى نفوز بنيله رغم العدا ... وننبه العزمات للهجمات

ونصدهم عنه إذا راموا به ... سوءاً وقاموا دونه عقبات

وجيوشنا هى قوة سلمية ... تبدى مطالبها بكل ثبات

فعليك إصلاح الحديث فإنه ... عندى أشد أذى من «الفلتات»(1)



(١) هي فلتات أحمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار فقد حدثوا عن حضرته انه خطب خطبة بالإسكندرية يودع فيها طلبة إرسالية الجامعة المصرية قبل هذا الحديث بأيام وعرض قليلاً بالحزب الوطني تعريضاً دعاء إليه الجناس بين كلمتي «حزب وخزي» ثم اعتذر أنها فلتة لسان وشاعت حينئذ بعض فلتات من هذا القبيل، وربما كان مكذوباً عليه أو كان له عذر مقبول مما عزي إليه.

رب ذكرى هيجت شجنا[1]

جددت ذكرى الفقيد المبرور ألم النفوس المستكن وهاجت بكل جانحة من الأشجان لاعجة لا يخبو لها سعير ولا يهدأ زفير وإني لأذكر يوم كنت بدمياط في العام الغابر وقد دهمني خطب الفقيد العظيم فأقمت حفلات التأبين الجامعة وأديت من الفروض الوطنية بعض ما يجب لفقيد الشرق والإسلام واشترك خطباء المساجد يوم الجمعة وعلماء الدين وجماعة الكتاب والشعراء الكرام في قضاء هذا الحق الوطني المقدس. وكان الكل مدفوعاً بشعور واحد هو حب الفقيد الممثل لمعنى الوطن والوطنية. أما المدامع و لأقلام في مصر فقد تسابقت في ذلك اليوم العصيب بكاء ورثاء، ولقد جاء يوم الذكرى فحار دمعي بين الشئون والجفون كما حار يراعي بين المداد والقرطاس فإذا ما شاركت اليوم الأمة في شعورها الشريف بكلمات من الشعر صادرة عن فؤاد محزون فإني لا أزال أراني مع هذا بعيداً عما أريد من التعبير والبيان في هذا الموقف العظيم.

* * *

وقد اقتفيت في قصيدتي هذه طريقة جديدة. هي جعل القصيدة قطعاً كل قطعة ذات روي خاص. وبذلك تسهل على الشاعر بعض الصعاب إلى يصادفها في سبيل القافية والتزام الروي في جميع القصيدة وهي طريقة وسطى بين طريقة الشعر المرسل والطريقة القديمة.

---

(١) هذا ملخص ما نشر باللواء الصادر يوم الاثنين ٢٥ محرم سنة ج ١٣٢٧ و١٤ فبراير سنة ١٩٠٩ بمناسبة ذكري المرحوم مصطفي كامل بعد سنة من وفاته وقد جعلت هذه الذكري يوم ١١ فبراير من كل عام وهو اليوم الذي دفن فيه رحمه الله تعالي.

وقد اخترت أن تكون القطعة سبعة أبيات اتباعاً لاصطلاح علماء العروض المعتمد في أن القصيدة سبعة أبيات فصاعداً من بحر وضرب وروى واحد . وبهذا يصح أن تكون كل قطعة قصيدة قائمة بذاتها وإن شئت فهى قصائد متعددة فى قصيدة واحدة فعسى أن يروق ذلك لشعرائنا فيقدموا على القريض ليكون صغيرهم بعد إحجامه وضعفه شاعراً مقداماً قادراً. ويتسنى لكبيرهم أن يتحدى شعراء أوروبا ويباريهم فى الشؤون الاجتماعية العصرية فيصبح له فى كل معنى قول مأثور وأثر مشكور[1].

عجباً للقريض كيف عصاني	ولدمع دعوته فتناءى[1]
كنت يوم الوفاة أول باك	نظم الدمع والقريض رثاء
وملأت الربوع في ثغر دميا	ط أسى فائضاً أفاض البكاء
ثم نادبت آملاً نهضة القو	م فلاقى النداء منهم نداء
وقضينا من الصلاة فروضا	ومن الآى المحكمات دعاء
وبكينا الفقيد فانهزم الصبر ولم تدرك النفوس عزاء	
وذكرت «اللواء» فانتظمت من	أدمعي أسطر تعزي اللواء

* * *

(١) حادثت حضرة الشاعر الكبير حافظ افندي إبراهيم في هذا النهج من الشعر فاستحسنه قبل أن أبدأ بسلوكه في هذه القصيدة. ووعد بالسيرفيه ثم حادثت اخيراً سعادة إسماعيل باشا صبري في ذلك فاستحسن ان يكون الشعر بيتين ووعد باتباع هذه الطريقة في نظمه. ولكني لم ار لسعادته بعد ذلك إلا قصيدة في رثاء بطرس باشا غالي، اتبع فيها الطريقة القديمة ونشرها علي غير انتظار.. كما أن حافظاً لم يف بوعده. ولا ادري لماذا لا تهذب طرق الشعر العربي حتي يجاري شعراؤنا شعراء الأمم الراقية ولا يكون لشكواهم من صعوبة الطريقة القديمة وجه حسن ولا لاحجامهم عن الوطنيات والاجتماعيات عذر مقبول؟

(٢) حركة الروي في هذه القطعة مخالفة لحركته في باقي القطع وقد هذبت هذه الطريقة فيما نظمته منها بعد فجعلت حركات الروي في جميع القطع متفقة.

ليت شعرى ماذا دهانى حتى جف بالأمس مدمعي ومدادى؟
إن ذكرى الفقيد بعد ربيع جـددت رزأه بكل فـؤاد
فاغتدى هذا ينثر الدمع وجدا وحشاه من وجده فى اتقاد
وغدا ذاك ينظم الشعر أحيا لذكرى حياة محيي البلاد
ومضى الموكب المهيب من الدا ر إلى القبر حيث مثوى الرشاد
وبدت آية الحداد على مصـ ـر فأمسى أبناؤها فى حداد
وأرانى فى دهشة لست أدرى كيف أقضى من البيان مرادى؟

* * *

أدهشتنى حياة مصر وأحيا أملى نشؤها العظيم الرجاء
عرفت واجب الوفاء وأحيت ذكر حامى الحمى شهيد الوفاء
وأقامت له مآثر تبقى يوم تفنى مآثر الأمراء
واحلته فى القلوب مكاناً أبد الدهر مستجد البناء
إيه يا مصر إن هذى حياة بك تسمو إلى ذرى الجوزاء
فاقتفى منهج الفقيد وأحيى ذكره فهو سنة الارتقاء
وأعدى ما شئت من عزامات وقفى وقفة المدانى المنائى[1]

* * *

مصر أنى أرى نمامك يوماً صامت القول ناطق الأفعال
أقتم الصدر أنور القلب[2] يحلو بسناه وجه المنى والمعالى
فيه نحظى بماله نتمنى وتفوز البلاد بالآمال
ويعز الكريم فى ساحة النصـ ـر ويمضى اللئيم بالإذلال

(١) أي المهاجم والمدافع.

(٢) أي مظلم أوله منير سائره.

فــــاهنئ أيهـــا الكنانة[1] إنـي	أنظر اليـــوم دانيَ الآجـــال[2]
وأري هـذه الشـبـيـبـة درعــا	لك فـاسـتبـقـيهـا للاسـتقـبال
إنما الـنشء مـــأمل الوطن المر	جـــو عـند الـغـــدو والآصـــال[3]

* * *

أيهــا النيل هل تعـود سـعـيـداً	ويجـــود الزمـــان بالحـسـنات
أيهـــا النيل أن قـــومك يشكـو	ن إلى غـــيـــر شــاعـــر بشكاة[4]
أيهـــا النيل هل رأيت ولـيـــاً	يبـتلى قـــومـــه بلاء العـــداة
أيهـــا النيل هل جـــريت دمــاء	بعـــد هذا على فــتى المكرمــات
بعث الشـعب للحيـاة وأودى[5]	فنهــضنا نريد مـعنى الحــيـــاة
إن عـــامــاً مــضى عليـــه إمــام	مـسـتـفـيض الأيام بالحـســرات
فــتــرحم عليـــه يا نيل واذكـــر	عند ذكـــراه كل مـــا هو آت



(١) الكنانة لغة وعاء السهام وقد سميت بها مصر وروي « مصر كنانة الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله ـ اي كسره واهلكه ـ.

(٢) أي أن هذا اليوم قريب المدد يوشك أن يشرق فجره.

(٣) الغدو ضد الرواح وهو من أول النهار إلي الزوال والرواح من الزوال إلي الليل. والآصال جمع أصيل وهو من بعد العصر إلي المغرب.

(٤) الشكاة بفتح الشين الشكوي.

(٥) اي مضي وقضي.

مسألة الأزهر

يا حماة الدين ويحكمو[1]

يا حماة الدين ويحكمو ودعوا الدين الذى قبرا
إن بيت الله محترم كيف بات الآن محتقرا
تطأ النعل مساجده وعيون المسلمين ترى
ويذل العلم فى ملبلا حفظوا القرآن والأثرا
ويثور الجند بينهمو آمرا بالسوء مؤتمرا
ضارباً من شاء مقتفيا بأذاه من به عثرا
وولاة الأمر همهمو إن بيت العدل منتحرا

* * *

أندب الأزهر مكتئبا وأعزى فيه من نكبا
نهضوا يسترحمون فلم يدركوا من أمرهم أربا
واستبد الظالمون بهم وأقاموا دونهم حجبا
واستباحوا هتك حرمتهم كلما أبدوا لهم طلبا
فاستقاموا فى سبيلهمو لم ينوا عن عزمهم رهبا
وتلقوا كل مرزأة[2] بقلوب تصدع النوابا

---

(١) نشرت باللواء يوم الجمعة ٢٩ محرم سنة ١٣٢٧ - ١٩ فبراير سنة ١٩٠٩ بمناسبة الحركة الأزهرية فى ذاك العام واعتصاب الأزهريين حتى تجاب مطالبهم العدلة التى كانوا وعدوا بالنظر فيها وعادوا إلى دروسهم ثم رجعوا إلى اعتصابهم فى هذا العام أيضاً حتى تجب هذه المطالب وقد نال الأزهر والأزهريين فى المرة الأولى من الإهانة والظلم بعض ما أشارت إليه هذه القصيدة.

(٢) مصيبة.

واستقال الشيخ[1] فاضطربوا ... واغتدى الأزهر مضطربا

* * *

خلق الظلم لهم رجلا[2] ... حارب العدل ومن عدلا

عشق الجلد وعدته ... فغدا الجلد له عملا

ودعا الجند لنصرته ... كى يرى الأزهر مقتتلا

فاستحلوا مسجداً حرما ... واستجازوا الحادث الجللا

وأذاقوا الطالبين أذى ... بعصى أدنت الأجلا

ثم نادوا حكماً[3] ورأوا ... أن هذا يقطع الأملا

ولعمرى إنه أمل ... لا يزال الدهر متصلا

* * *

ياولاة الأمر ويلكمو ... أدركوا الأمر الذى عظما

أصبح الأزهر معتركاً ... وأراكم تطلبون دما

ليت شعرى هل جنى أحد ... يشتكى الظلم لمن ظلما

فاعدلوا فى القوم انهمو ... يشتكون الضيم والألما

واعلموا لله صالحة ... وذروا[4] العباس محتكما

واحذروا يوماً ترون به ... إن أبيتم ذلك الندما

يوم لا تغنى جنودكمو ... عنكمو إن حادث دهما[5]

---

(١) هى فضيلة الشيخ حسونة النواوى الذى استقال من مشيخة الأزهر حينما رأى ما رأى من احقية مطالب الأزهريين وإهمال ولاة الأر لها بعد أن وعدهم هو بإجابتها.

(٢) هو خليل باشا وحمادة الذى كان مديراً للاوقاف وأقيل منها عقب ما ظهر من استبداده بالطلبة واستعماله القسوة المتناهية معهم وسخط الأمة بأسرها عليه.

(٣) أى جاءوا بمُحقق من النيابة إرهاباً للطلبة وتنكيلابهم.

(٤) دعوا واتركوا.

(٥) أى حل وغشى.

قانون المطبوعات[1]

لئن قيدوا مني اليراع وأوثقوا　　لساني فقلبي كيفما شئت ينطق

فلا يأمنوا تلك القلوب فإنها　　دماء أراها أوشكت تتدفق



(١) صدر قرار الوزارة البطرسية يوم الخميس ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ بإعادة قانون المطبوعات الذي سن زمن الثورة العرابية وطوته الأيام بعد ذلك حتي أصبح عدما. وقد نظمت هذين البيتين عند ما أصبح من المقرر صدور هذا القرار المشئوم فلما صدر نظمت القصيدة التالية ونشر كل ذلك في «اللواء».

إلـــى سمـــو الأميـــر
والوزارة والأمة[1]

أعبـاس هذا آخر العـهـد بيننا | فـلا تخش منا بعد ذاك عـتـابا[2]

أيرضـيـك فـينـا أن نكون أذلة | ننال إذا رمنا الحـيـاة عـقـابا

ونيـأس من آمـالنـا فيك كلمـا | قـضـيت علينا أن نكون غـضـابا

وأرضـيـت أعـداء البـلاد وأهلهـا | وأصليتنا بعد «الوفـاق» عذابا[3]

رويدك يا عـبـاس لا تبلغ المدى | ولا تـسـتـمع للظالمين خطابا

فـمـا يبتغي غورست إلا مكيـدة | تحـول أقـلام السـلام حـرابا

وها قـد رمى حرية القـول رمـيـة | بسـهـمك تجنى للبـلاد خـرابا

* * *

ألا أمطر الله الوزارة نقـمـة | ولا بلغت مما تروم مـرامـا

تحـاول أن تقـضي علينا باثـمهـا | ولكن ستلقى دون ذاك أثامـا[4]

---

(١) نشرت هذه القصيدة تحت هذا العنوان باللواء الصادر يوم السبت ٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٧ ـ ٢٧ مارس سنة ١٩٠٩ وهى ثلاث قطع واحدة لسمو الأمير وأخرى للوزارة السابقة والثالثة للأمة أيدها الله بنصره.

(٢) الصحافة خير واسطة لحسن التفاهم بين الأمة والحكومة وهى لسان شكر وعتاب ينطق بما يمكنه فؤاد الشعب منهما. فهو عند عدل الحكومة وإحسانها شاكر مادح وعند غير ذلك معاتب لائم ولا ريب أن سمو الأمير هو رأس الحكومة الأكبر وأولى من يوجه إليه أمل الأمة وألمها. وقد جاء قانون المطبوعات قاطعاً هذا اللسان حائلاً بين الأمير وشعبه لذلك كان يوم إرجاع هذا القانون هو آخر العهد بيننا وبين سموه وقاطع حبل المودة والعتاب الذى أصبح أمره بيد الألسنة بعد الأفئدة على أن هذه الأبيات الموجهة إلى سموه هى فى الحقيقة عتاب على قطع العتاب الذى نعتبر أنه كان موجهاً إليه خاصة لأنا لا نعرف لنا حاكماً شرعياً سواه.

(٣) أى بعد سياسة الوفاق التى أتى أتى بها غورست بعد سياسة الخلاف التى ذهب بها كرومر على أنه لا خير لنا فى سياسة ما مع الاحتلال.

(٤) الآثام بفتح الهمزة جزاء الاثم أى الذنب.

وزارة خــداع أقــامــتــه بيــنـا ... يد الحـاكـمـين الآثمين فقـاما[1]

وبين يديه عصبة بطرسية[2] ... تصـوب نحـو المصلحـين سـهامـا

جنى ما جنى فى دنشواى وغيرها ... ولم يكفـه حتى استحل حـرامـا

فـقـيـد أقـلام الصـحـافـة علها ... إذا أبصـرت سـوءاته تتـعـامى

سلام على عهد الوزارة[3] قبله ... وإن كـان عـهـداً لا يبـيح سلامـا

بنى مصر بشرى فالرجاء محقق ... ومن عـدم الأقـوال رام فـعـالا

وهذا يراعى فليـقـيـد فـإنما ... لدى يراع لا يهـاب نضـالا[4]

سأطلقه يجرى كما شاء حده ... ومن شاء فليقطع عليه مجالاً

فلا تيأسوا فاليأس مجلبة الردى[5] ... وشـدوا إلى نيل الرجـاء رحـالا

ولا تفزعوا من حكم أو حكومة ... ترى نشـر آمـال العـبـاد ضـلالا

وسيروا إلى ما تملون بحكمة ... ولا تحسـبوا الفوز المبين محـالا

فإنى لمحت النصر بين صفوفكم ... وأبصـرت عـقـبى الظالمين وبالا



(١) الحاكمون الآثمون هم الإعليز المغتصبون يقد كان تعيين بطرس باشا غالي رئيساً للوزارة بمحض إرادتهم فهم الذين أقاموا رئيساً للنطار وأصدروا أمرهم من لندره بذلك كما رواه «المقطم» حين ذلك وهو لسانهم الصادق . قطعه الله .

(٢) اي منتسبة إليه وإن كان عملها في الحقيقة عائد عليه .

(٣) هي الوزارة الفهمية التي انقضي عهدها غير مأسوف عليه كما انقضي عهد هذه الوزارة .

(٤) هو القلب الناطق كيفما شاء صاحبه .

(٥) اي أن اليأس باعث الهلاك وجالبه ومن يئس فقد جهل معني الحياة وفقد شخصية الأحياء، ولا سبيل إلي نهضة الأمة وحياتها إلا بمحالفة الأمل ومحاربة اليأس ومن ماثورات فقيد الوطن المرحوم مصطفي كامل قوله : «لا معني للحياة مع اليأس . ولا معن لليأس مع الحياة» .

فتنة الأستانة[1]

لم يدرك السلطان فى قصره	ما أدرك العسكر من أمره[2]
ولم يهب من دهره سطوة	حتى دهاه الخطب من دهره
جارية الدهر على غرة[3]	وضاقت الأقدار عن نصره
وأبصر الموت به محدقاً	من بره يسعى ومن بحره[4]
ومدت الأيدى إلى عرشه	وأوشكت تمتد فى نحره
وأدخل السجن ليقضى به	آخر ما أبقاه من عمره
فهان ما أكبر من عزه	وذل ما أكثر من كبره

* * *

لله ما أوفى الجنود التى	قضت على الظالم فى ظلمه

(١) حدثت هذه الفتنة الكبرى فى ١٣ أبريل سنة ١٩٠٩ ومكثت الأستانة معتركاً هائلا بين انصار الحكم المطلق وجنود الدستور البواسل نصف شهر تقريباً. وكانت العافية للدستوريين الأحرار. وقد اندحر الرجعيون وأشياع التقهقر ونالهم الخزى والخذلان يخلع السلطان عبدالحميد الذى كان حاكماً بأمره مطلق التصرف فى أموال العباد وأرواحهم وقد بلغ نبأ الخلع فى فجر يوم الثلاثاء ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ ونودى بأخيه ولى العهد «رشاد أفندى» سلطاناً باسم «محمد الخامس» وقد غادر عبدالحميد سراى يلديز فى منتصف الليلة التالية لخلعه وركب القطار إلى سلونيك حيث يقضى بقية أيامه بها تحت المراقبة فى أحد قصورها وتقرر جعل يلديز متنزهاً عاماً للأهالى واسكن السلطان الجديد سراى ضولة بغجة ولله الملك وبيده الأمر وهو العزيز القهار.

(٢) حاصرت جنود الدستور يلديز أياماً ومنعت الزاد عن أهلها حتى ألقت حاميتها السلاح وصدر قرار الخلع فاستشعر السلطان بدنو الساعة فاختفى فى آخر غرفة من غرف الحريم ولكن النذير وصل إلى مقره وأبلغه حكم الله والأمة عليه وهو يرتجف ارتجافاً ويتوسل إلى مبلغيه ان يحقنوا دمه فما أشد هول الانتقام.

(٣) غفلة.

(٤) اى ان الجيوش الدستورية كانت تحدق وتحيط به براً وبحراً حذراً من هربه وكان للأسطول العثمانى فى البحر ما للفيالق البرية من العناية بحفظ الدستور والائتمار بأمر الشعب.

وقـيـدت عـبـدالحـمـيـد الذى كم جـار بالإطلاق فى قـومـه
ولـم يخل[1] يومـه يلاقى بـه جـزاء مـا قـدم فى يومـه
فليت شـعـرى مـا رأى عندمـا أسلمـه الدهر إلى خـصـمـه
وبات فى قـصـر سلونيك[2] لا يرجو من القصر سوى سلمه[3]
وأيقظ الله الأمـيـر الذى قـضى نشاط العمر فى نومه[4]
فـبـات سلطاناً له دولة سلطانها الدستور فى حكمه[5]



(١) يحسب ويظن.

(٢) سلونيك الثغر الثاني في تركيا وهذا القصر الذي أنزل فيه السلطان المخلوع هو المسمي «قصر اللاتيني» وكان يسكنه إلي حين إرساله إليه قائد أجنبي يسمى «الجنرال كونت دي روبلانت» وهو منظم الجندرمة في ذلك الحين.

(٣) لأنه اصبح كما يقولون قلقاً جداً علي حياته لا يحسب لغيرها حساباً.

(٤) هو الأمير رشاد افندي الذي كان ولياً لـعهد وبقي رهين قصره مدة حكم عبدالحميد حتى افني نشاط العمر بين جدرانه. وقد روى اللواء الصادر في ٦ مايو سنة ١٩٠٩ ان مدة حكم عبدالحميد بالضبط هي ٣٢ عاماً و٧ اشهر و٢٧ يوماً و٤٥ دقيقة.

(٥) الملك في الحكومة الدستورية ليس له في الأمر سوي التوقيع علي ما تريده الأمة ومتى كانت الحكومة اهلية تعمل علي رضاء الأمة وتسير بإرادتها فلا غرو إذا اصبح الأمر كله من الأمة وإليها وكان الملك اشبه بممثل شرفي للدولة وواسطة لعقد نظامه.

إلى دنجرا[1]

قبـــل الإعــدام

هنيئاً فقيد الهند نلت مدى المجد ... وخلدك التاريخ فى مصر والهند

همو حكموا بالموت وهو محبب ... إليك فحييت القضا معلن الحمد

وقدمت نفساً «للفداء» كبيرة ... لتبعث وجدا فى النفوس على وجد

وسرك أن تقضى الحياة مجاهداً ... وأبديت فى التحقيق مالم تكن تبدى

شجاعة مقدام يجود بنفسه ... على الوطن المأمول فى القرب والبعد

وقوة ليث دونها كل قوة ... تروح إلى رشد وتغدو على رشد

ألا فى سبيل الله موت مجاهد ... يذود عن الأوطان فى المهد واللحد

يموت ولكن لا يموت جهاده ... وعما قريب تصبح الهند للهندى

---

(١) دنجرا اسم طالب هندي كان بانجلترا وهو من حزب الفدائيين الأحرار من الهنود الذين يحاربون أعداءهم الإنجليز بالسيف والقلم وقد كان من أمره انه انتهز فرصة في حفلة بلوندره مكنته من قتل السير كيرزون وبلي الذي كان من حكام الهند معتقداً انه بذلك القتل يثأر لبلاده ويعيد مجد أمته وقد قبض عليه واجرى التحقيق معه فابدى هذا الاعتقاد بكل صراحة معلناً أمله في حياة الهند بموته وموت أمثاله في سبيل جهادهم من اجلها ولما حكم عليه بالإعدام ابتسم لهذا الحكم وحياه بسلام عسكري بكل ارتياح علي ان هذا المذهب الفدائي العدمي إذا أفاد في بلد فقد لا يفيد في الأخرى وربما اخفق سعي أصحابه في بعض أغراضهم ولكني أرى ان الفكرة الأولي المراد بها خدمة البلاد والانتقام من أعدائها بأنجح الطرق وأفضلها فكرة شريفة محترمة لا تتشبع بها إلا نفس شجاع مقدام بصرف النظر عن نتائجها التي قد لا يلحظ صاحبها فيها إلا خيرها وأولاها لهذا يجدربأمثال هذا الطالب ان يمجدوا لا باعتبار عملهم الأخير ولكن باعتبار فكرتهم الشريفة وشخصيتهم الكريمة سواء أحسنوا بعد أم أساءوا.

إليه بعد الإعدام[1]

كيف أرثيك دنجرا بمقال	يدعى القوم أنه إجرام[2]
كنت شهماً على البلاد غيوراً	لم يشنك[3] الرصاء والإحجام
دفعتك الحياة للموت حتى	لم يرعك القضاء والإعدام[4]
فقضيت الحيـاة مبتهج النفـ	ـس وأمضت قضاءها الأحكام
مت بالأمس والممات حياة	خلدتها لذكرك الأيام
فسلام عليك والدمع جار	وسلام وفى القلوب ضرام
وسلام وأنت حَى وميت	لك يهديه النيل والأهرام

* * *

يا فتى الهندان فى النفس وجداً	كامناً تستفزه الآلام
رمت أبدية يوم موتك ولكن	حال بينى وبينه الحكام
وسيبدو مع الزمان ويدرى	غافل القوم أننا لا ننام[5]

---

(١) نشرت هذه الأبيات باللواء فى يوم الخميس ٣ شعبان سنة ١٣٢٧ - ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ وقد نظمتها عقب تنفيذ حكم الإعدام على دنجرا كما نظمت الأبيات الأولى بعد إصدار هذا الحكم عليه.

(٢) يعتبر القانون تمجيد الجريمة القانونية جريمة معاقباً عليها ولذلك كان رثائي لدنجرا رثاء شخصياً لا يلاحظ فيه غير الفكرة الأولى كما تقدم.

(٣) أى يعبك.

(٤) أى يخفك.

(٥) أي إن وجد النفوس المستكن لا يبديه غير الزمان خصوصاً إذا كان فى إبدائه شبهة قانونية في حكومة مستبدة ولهذا كان قولي قاصراً على مالابد منه فى ذكر دنجرا باعتباره وطنياً يجاهد فى سبيل وطنه ولا عبرة مما يراه صواباً أو خطأ من وسائل الجهاد.

قضية دنشواى[1]

إلى ناظر الحقانية[2]

قبل الحكم على الشيخ عبدالعزيز

حكمت فلم تنصف وقلت فلم تصب	ورمت مراماً دونه الله والناس
وبحت بأسرار الوزارة معلناً	وأبديت ما لم يبد غالى وعباس[3]
فأغضبت فى مصر القضاء وأهله	وأرضاك أن يرضى خؤون ودساس
فلا تك بعد الآن للعدل موئلا	فغيرك بعد الآن للعدل حراس
وحارب بسيف الظلم من شئت بيننا	فغاية ما يغنى من الظلم إفلاس

(١) حدثت مسألة دنشواى فى شهر يونيه سنة ١٩٠٦ ويوم ذكراها هو يوم تنفيذ حكم الشنق والجلد على عباد الله المظلومين وهو يوم ٢٨ من هذا الشهر.

(٢) كتب فى « اللواء » حضرة الشيخ عبدالعزيز جاويش يوم ذكرى دنشواى فى ٢٨ يونيه سنة ١٩٠٩ مقالة أنحى فيها باللائمة على قضاة دنشواى ومحاميها مناجياً أرواح شهدائها إلا برياء مثيراً بقلمه المؤثر ما كمن فى القلوب من وجد وشجن فهب بعض من صوب إليهم سهام قلمه ورفع قضية عليه مطالباً بتعويض مالى « ١٠٠٠٠ جنيه » بدعوى أنه أهين « شرفه » وهبت النيابة العمومية ناهجة نهج هذا البعض محاسبة الكاتب على ما نشر مدعيه . . انه أهان القاضيين العادلين فى دنشواى « بطرس باشى وفتحى باشا » وأصبحت المسألة في يد القضاء المستقل، ولكن ناظر الحقانية « رشدى باشا » سافر إذ ذاك إلى الأستانة ودار بينه وبين أحد الصحافيين هناك حديث رجح فيه الحكم على الشيخ عبدالعزيز ثم أرسل خطاباً إلى الجريدة التى نشرت حديثه وهى الكوربيه مصححاً بعض ما ورد فيه فلما أتى على سؤال الصحافى ـ هل يحكم على الشيخ جاويش؟ استبدل الترجيح بالتاكيد . وكان لهذا الحديث أثر سيء فى مصر وقد أمطر البرق والبريد رسائل الاستياء منه والاحتجاج عليه آلافاً مؤلفة على جريدة اللواء وسائر الجرائد الوطنية ونشر اللواء الصادر يوم الثلاثاء ١٧ رجب سنة ١٣٢٧ ـ ٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ نص الحديث والخطاب المشئومين.

(٣) أى أن رئيس الحكومة السابق وأمير البلاد لم يبديا ما أبداه ناظر الحقانية من التهجم على استقلال القضاء والحكم على متهم لم تنظر قضيته بعد وهما ارفع شأناً وأعظم خطراً وإذا ساغ لأحد ما ساغ لرشدى باشا كانا أحق بذلك وأولى.

لعمرك ما قصر الدوبارة نافع	إذا انتبه المظلوم واحتدم الباس[1]
وهيهات أن نخشى وعيدك بعد ما	نهضنا مع الآمال وانهزم الياس[2]

بعد الحكم[3]

هل سال فى مصر الدم[4]	أم ثار فيها المسلم؟
ودعا دعاء محمد	داع فهب النُّوَّم؟
ومضوا إلى أهل الضلا	ل فأعدموا من أعدموا
وقضوا على باغى[5] المظا	لم ثم لم يتأثموا[6]

---

(١) الباس العذاب أو الشدة فى الحرب.

(٢) انهزام اليأس أول واجب على الشعب الذى يجاهد فى سبيل الحياة ويكون له أمل فى الاستقلال. ومتى نهض فى الآمال وتعلق بالمعالى فهيهات هيهات أن يخشى وعيد موعد أو تهديد مهدد واستبداد مستبد.

(٣) بعد إن حكم قاضى محكمة عابدين الجزئية عى الأستاذ الشيخ عبدالعزيز بانفرامة رفعت القضية بصفة استئنافية إلى المحكمة الابتدائية فحكمت عليه يوم الأربعاء ٩ شعبان سنة ١٣٢٧ ـ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٠٩ الساعة ١٢ والدقيقة ٤٠ بالحبس البسيط ثلاثة أشهر وكانت الجلسة تحت رياسة القاضي باغوص بك أوغوبيان الذى رقي بعد ذلك إلى وظيفة قاض بالمحكمة المختلطة ووافق يوم تعيينه بها يوم خروج الأستاذ من سجنه.

(٤) هذا الاستفهام وما يليه إلى النهاية إنكارى يراد به معرفة الأسباب التي تحمل الحكومة كل حين على مصادرة الحرية ومحاكمة الاحرار وسن قوانين الاستبداد العرفية بلامسوغ معروف مع ان مصر لم تكن بالبلاد الثائرة التي تسيل فيها الدماء أو يهب فيها المسلم داعياً دعاء النبى ﷺ مجاهداً فى سبيل الدين حتى يسلم من شاء ويخضع من شاء أو يقضي أهلها على الباغي الظالم كلما رام المظالم أو يطاردون ويحاربون الواغلين الدخلاء ويذيقونهم كاس الوبال كل هذا لم يكن ولن يكون مهماً مهما رمانا الأعداء بالهياج والتعصب والفوضية فإن سلامة مصر فى السكون والسلام.

(٥) طالب.

(٦) نائم أى تحرج عن الإثم وكف.

واستفتحوا باب الجحيـ ـم له ولم يترحموا
فمضى بلعنة ربه واستقبلته جهنم
وغدا «الدخيل» مروعاً أركانه تتهدم
يرجو النجاة ولا سبيـ ـل ويستبين فيعجم
ويمد صوت ندائه نحو «العميد» فيحجم
ذاق الوبال بما جنا ه ولم يعذه[1] الدرهم
فاندك صرح كان فيـ ـه للخيانة مغنم
وكذلك شأن المجرميـ ـن يصيبهم ما أجرموا

* * *

أما «الوكالة»[2] فاستما توا عندها وتقدموا
واستنصروا بالله فانـ ـهزم العداة وأسلموا
وانثل[3] عرشهمو وجيـ ـشهم انثنى يتندم
لم تبق منه بقية تحمى الظلوم وتعصم
بادوا[4] فباد الظلم وانـ ـصرم[5] الزمان المظلم
وأضاء مصر ضياؤها وترنم المترنم
يا نيل عاد لك الصفا ء وبات شعبك ينعم

(١) أى بعصمة ويحصنه.

(٢) هى الوكالة البريطانية التى يحافظ الشعب عليها كما يحافظ على سائر الوكالات الأجنبية ويعامل أهلها باعتبارهم ضيوفا معاملة الكريم للكريم.

(٣) أى سقط وانهدم.

(٤) هلكوا.

(٥) انقطع ومضى.

عـذبـت[1] مـيـاهك وانتـأى[2] عن شـــاطئـــيك العلقم[3]

وتحـــــرر القطران[4] فـــانـ ـــهـــمـــرت عليك الأنعم

وتـــخــلــص الــقــلــم الأ بى من التـــعـنت والـفـم[5]

وغـــــدا لـواؤك[6] ناطـقـــا عن حـــالتـــيك يتـــرجم

* * *

يـاليـت شـــعـــرى هل بدا في مـــصـــر يوم أقـــتـم[7]

وجنـى العـــبـــاد جنـايـة فـاهتـاج سـشـر مـضـرم[8]

حـــتى تجـــاربنـا الحكو مـــة عند مـــا نتـــألم

وتـســومنا[9] ســوء العــقــو بـة حـــينمـــا نســتــرحم

والـــلـــه يــعــلــم أنــنـــا لقـــضـــائهـــا نســـتـــسلم

لـم نجن ذنبـــاً نســـتـــبـــيـ ـــح بـه ذمـــامـــاً يحـــرم

والظلـم كل عـــشـــيـــة يغـــشى البـــلاد ويدهـم[10]

والقــــوم في غـــفـــالتهـم والظالمون همـــــو همـــــو

---

(١) حلت. (٢) ابتعد.

(٣) العلقم شجر مر ويقال لكل شيء مر علقم.

(٤) أي تخلصت مصر والسودان من رق الاستبداد والاستعباد.

(٥) أي أصبحت حرية الكتابة والخطابة خالصة من شوائب التعسف والتعنت.

(٦) مما يذكر بالأسف من أعمال الحكومة السالفة أنها أنذرت جريدة «اللواء» يوم الحكم على رئيس تحريره في هذه القضية بدعوى أنه امتدح عمل دنجرا الطالب الهندي السابق ذكره مع أنه لم يذكر عن عمله شيئاً وإنما كتب ما كتب متكلماً عن شخصيته ووطنيته ليس إلا.

(٧) معظم. (٨) أي هاج شر متقد.

(٩) تجازينا بعقابها وترغمنا على احتماله.

(١٠) بمعنى يغشى.

لم يكفهم صبر الكرا	م فأقسموا أن يبرموا[1]
وقضوا على عبدالعز	يز بحكمهم وتحكموا

* * *

يا ساكن السجن الكريـ	ـم وأنت نعم الأكرم
حكموا بسجنك قبل ما	حكم القضا أن يحكموا[2]
فعبست عند قضائهم	ودخلت سجنك تبسم
هم توجوك بتاج مجـ	ـد خالد وتهكموا[3]
حسدوك أو جهلوا علا	ك ومثلهم لا يعلم
ما السجن للشرفاء	إلا رفعة وتنعم
فاصبر ولا تحزن إذا	حم القضاء المبرم
وتأس[4] بالعلما	ء والعظماء إنك منهمو
أنت البرىء ومن يخا	لك[5] مجرماً هو مجرم
والشعب حولك ناهض	متألم يتظلم
يهديك في سجن الكرا	م تحية ويسلم

(١) أي يضجروا والمعني أنهم أرادوا أن يضجرونا ويبرمونا حتي نخرج عن دائرة الصبر الجميل.

(٢) إشارة إلي حديث ناظر الحقانية السابق.

(٣) اشتد غضبهم وتكبروا.

(٤) تعز واقتد.

(٥) ليس المجرم من حكم عليه بالسجن في سبيل خدمة بلاده كما حكم علي الأستاذ صاحب هذه القضية وكما حكم علي سواه من الشرفاء الأبرياء لاسيما إذا روعي أن الحكم صدر في حكومة استبدادية وإنما المجرم الحقيقي هو من يخون بلاده ويجني علي أمته بخيانته سعياً وراء ارب شخصي وغاية سافلة ومما أذكره هنا بمزيد السرور أن الأستاذ رعاه الله تلقى نبأ الحكم عليه وهو في داره بين أهله وعشيرته برباطة جاش وابتسامة ازدراء وذهب إلي النيابة مسرعاً بصحبة رئيس الحزب الوطني وأحد محاميه الفضلاء أحمد بك لطفي وكيل الحزب مقدماً نفسه إليها قبل ان تصل يدها إليه مستعداً لتنفيذ الحكم عليه.

بين قبول النقض ورفضه[1]
نذير اليأس بعد بشير الأمل

عاد للحق أمره واستنارت — شرعة العدل بعد هتك الظلام
نقضوا الحكم واطمأنت نفوس — أزعجتها الظنون فى الحكام
فرعى الله فى القضاء كماة[2] — حاربوا بالهدى هوى الأحكام
ورعى الله مصر ما دام فيها — معقل[3] الحق خافق[4] الأعلام

* * *

إن عبدالعزيز أدرك مجداً — خلدته صحائف الأيام
دخل السجن ثم عاد إلينا — رافع الرأس ناصر الإسلام
برءوه وهم عدول كرام — فاستحقوا شعائر الإكرام

* * *

ليت شعرى أفى «اللواء» نذير — أم بشير وفى بنيل المرام؟
كنت أثنى على القضاء فمالى لى — كنت لا ألمح النذير أمامى؟

(١) بعد حكم المحكمة الابتدائية علي الأستاذ قدم محاموه الثلاثة «أحمد بك لطفي وإسماعيل بك شيمي ومحمود أفندي البسيوني» أوجه النقض للحكم وتحدد يوم الخميس ١٦ رمضان سنة ١٣٢٧ ـ ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٩ للنظر في ذلك بجلسة النقض والإبرام المنعقدة في هذا اليوم بمحكمة الاستئناف وكاد الراي العام يكون مؤقتاً بقبول النقض ونظر القضية مما يرضاه العدل والاستقلال وكنت من أول الموقنين بذلك ولهذا أخذت انظم هذه الأبيات وأنا بدار «اللواء» منتظر نبأ الحكم بالقبول وكنت مدفوعاً في نظمي بهذا الاعتقاد ولكنني ما كدت أختم البيت السابع حتي جاء نذير الياس بعد بشير الأمل وانعكس علي الاعتقاد فاتممت قولي بما أملاه علي الشعور الأخير وجمعت في هذه القصيدة بين الأمل في القضاء واليأس منه.

(٢) جمع كمي وهو الشجاع. (٣) ملجأ. (٤) متحرك ومضطرب.

رفضوا النقض فاستحال[1] يراعى بعـد هذا إلى ظبى[2] وسـهـام

وقلوب العبـاد أضـرمـهـا الوجـ ـد وبـاتـت بـلـوعـة الآلام

* * *

فـهنيئـاً لسـاكن السـجن فاللـ ـه اصطفاه للنيل والأهرام

يبـعث القـوم للحـيـاة ويدعـو لسـبـيل النهـوض والإقـدام

فلينـم هانئـاً فـإنا قـيـام حـوله والنفـوس غـيـر نيـام

وإليـه يقـدم الشـعب حـبـا صاغه الله فى معانى الوسام[3]



(١) تبدل وتحول.

(٢) جمع ظبة وهي حد السيف أو السنان.

(٣) الكلام علي الوسام في قصيدة التالية.

تحية الشعب
إلي فتى الحرية وشيخ الأحرار
الوسام بعد السجن[1]

عادت إلى القلم المشهود سيرته	ولاح بدر «اللوا» من بعدما احتجبا
فلينظر الشعب هذا وجه قائده	تجلو بشاشته الآلام والكربا
هذا السجين الذى أضحت محبته	حقا على الشعب يقضى منه ما وجبا

***

هم بيتوا[2] الأمر فيما بينهم زمنا	وأظهر الله فيما أضمروا عجبا
تلفت القوم والتفت قلوبهمو	حول السجين وبات النيل مضطربا
وأدرك الشعب سرا كان مستترا	فهب يعمل حتى يدرك الأربا

***

(١) في يوم الاثنين ١٤ شعبان سنة ١٣٢٧ ـ ٣٠ اغسطس سنة ١٩٠٩ اي بعد الحكم علي الأستاذ بخمسة أيام قامت مظاهرة وطنية كبرى بحديقة الأزبكية في الساعة الخامسة مساء وكانت مظاهرة استياء من الحكم وانعطاف علي السجين الكريم وألقيت فيها الخطب المناسبة واقترح عمل وسام يشترك فيه الشعب ويسمى « وسام الشعب » ليقلده الأستاذ يوم خروجه من السجن في احتفال حافل فتهافت الناس على الاكتتاب وتالفت لجان في سائر البلاد باسم « لجان الوسام » ومازال باب الاكتتاب مفتوحاً حتى تم صنع الوسام علي أجمل شكل وقلده الأستاذ يوم خروجه من سجن الحرية في حفلة شائقة أقيمت لتكريمة بفندق شبرد في الساعة الرابعة والنصف من مساء ذلك اليوم المشهود. وكانت الشوارع المحيطة بالفندق غاصة بالقادمين والمتظاهرين محبين الأستاذ متيمنين بطلعته وصادف في تلك الساعة ان مر من أمام الفندق سمو ولي العهد ثم سمو والده الأمير عائدين من سراي عابدين إلى سراي القبة وقدر أيا انعطاف الأمة بأسرها علي خادمها الأمين وهتاف الجماهير له بالدعاء والحب الصميم أما هذا اليوم العظيم يوم خروج الأستاذ من السجن والاحتفال بتكريمه فهو يوم الأثنين ٩ ذي القعدة سنة ١٣٢٧ ـ ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٩ وقد نشرت هذه الأبيات تحية له بجريدة اللواء في ذلك اليوم.

(٢) بيت الأمرد بره ليلا.

عبدالعزيز كفاك السجن منقبة … يزيدك الفضل من آثارها لقبا

عبدالعزيز لقد أدركت مطلبا … تسمو به بين طلاب العلا حسبا

إن الزمان الذى نالتك محنته[1] … يعى[2] حديثك مرفوع الثنا حقبا

فاهنأ بما نلت من مجد مخلدة … آثاره الغر بين السادة النجبا

وأقبل اليوم إن الشعب ذو شغف … وطالما حجبته دونك الرقبا

هذا وسامك صاغته حشاشته[3] … وفى ثناياه[4] سر الحب قد كتبا

فاستوضح السر واستفسر معانيه … وسائل الرسم إن الرسم فيه نبا[5]

وانشر لواءك فى مصر يؤيده … نصر من الله أنَّى جاء أو ذهبا



---

(١) المحنة ما يصيب الإنسان من المكاره على سبيل الامتحان والاختبار.

(٢) يحفظ.

(٣) الحشاشة روح الفؤاد.

(٤) طياته وتضاعيفه.

(٥) جاء هذا الوسام آية من آيات الوطنية الدالة على فضل الاستاذ معنى والطف إشارة، وهو مؤلف من ثلاث قطع ذهبية نقش على الأولى رسم الأهرام وكتبت تحت الرسم هذه العبارة « تذكار الشعب إلى لشيخ عبدالعزيز جاويش اعترافا بوطنيته الصادقة » والثانية وهى أكبرها حجما رسم عليها نبات كان يتخذه القدماء رمزاً للفوز والنصر ونقشت فيها هذه الآية الكريمة ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ والثالثة هلال فى وسطه نجم، وقد نيطت هذه القطع الثلاث بوشاح من الحرير الأحمر والأبيض مرصعة كل واحدة منها بالأحجار الكريمة ترصيعاً جميلاً، والأستاذ بلا ريب جدير باضعاف هذا التكريم وما أرى كل ذلك إلا رمزاً صغيراً لا جلاله وإكباره وفى القلوب ما شاء الحب والاخلاص.

إلى وزراء مصر

احتقار أم اغتصاب!![1]

يأيهـا الوزراء مـاذا نـابكـم[2] حـتى هجـرتم «صـورة النواب»

إن كـان سيف الحق روعكم وقـد هتك الحـجاب وصـال فى الحجاب

أو كان إسماعيل[3] صوب سهمه فأصاب منكم موضع الأوصاب[4]

واشتد يحيى[5] فى الحساب وجاء فى آيات حـملتـه بفـصل خطاب

وتضـافـر النفـر الكرام على مُنا قشة الحسـاب بحكمـة وصواب

وتنزلـت أصـواتهم بحـقـائق كـانت محجبـة بألف حجـاب

فـتـزلزلـت أقـدامكم من هولهـا وهرعـتـمـو فـزعـا إلى الأبواب

ورضيـتـمو الهـرب المعيب لأنه خيـر من الإفلاس عند حسـاب

إن كـان ذلك عذركـم فاستغفروا وامضوا إلى الشورى بغير عتاب

أو كـان ثـمـة آمـر مـتـوعـد فاعصوا ولا تخشوا من الإرهاب

* * *

عودوا وحسبكم انتصـاراً أن عبـ ـدالعال[6] يخدمكم بلا أتعاب

---

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء الصادر يوم الخميس ٢٤ ذى الحجة سنة ١٣٢٧ - ٦ يناير سنة ١٩١٠ على أثر إضراب الوزارة البطرسية عن حضور مجلس الشورى فراراً من سؤال النواب ومناقشتهم ولكن أمد هذا الاضراب لم يطل فعادت الوزارة إلى حضور الجلسات بعد قيل وقال.

(٢) أصابكم.

(٣) هو سعادة النائب الحر عن مديرية الشرقية فى مجلس الشورى إسماعيل باشا أباظة.

(٤) الأمراض.

(٥) هو سعادة نائب الثغور المقدام احمد باشا يحيى.

(٦) هو إبراهيم افندى عبدالعال النائب بالمجلس عن مديرية الفيوم.

ولديكم فهمى[1] ومن باراه من		نوابكم متعددى الألقاب
هم ينصرونكمو وإن كانوا لنا		ولكم لعمركمو أجل مصاب
يا ويل مصر بهم ويا أسفا على		ما حل بالشورى من الأنصاب[2]
أرضيتموهم نائبين وسركم		عار الغياب ووصمة الإضراب ؟
عار عليكم أن يقال وزارة		لم تدر إن سئلت بيان جواب
هربت فرارا من ميادين السؤا		ل وسجلت ما سجلت من عاب[3]
واستخلفت حزبا غدت أقواله		ورجاله أضحوكة الأحزاب
عودوا إلى عهد الوداد وحسبكم		ما كان من هجر وطول غياب
وتحرروا عند الجواب وأوضحوا		ما ليس نجهله من الأسباب



(١) هو سعادة محمود باشا فهمى الذى كان عضواً دائماً من أعضاء الحكومة فى المجلس ثم أصبح الآن رئيساً للشورى بعد أن سلك فى آخر أيام عضويته مسلكاً لا بأس به فوجب إذاً أن يحل محل « فهمي » فى البيت « علوي » حتى يصلحه الله ويصلح سائر من على هذا الوزن من أسماء الأعضاء وإن بقي بيتي بعد هذا الإصلاح يشكو الكسر والاعتلال .

(٢) أى الأصنام .

(٣) عيب .

نحن والاحتلال[1]

كـفكفى يامـصــر دمع الـوجل — وارتـقــب يـا نِـيـلُ نَـيْـلَ الأمـل
جـاوز الصبـر المدى والصـدر لم — يبق فـيـه الوجـد من مـحـتـمل
كم شــقــاء ! كم بلاء كم أذى ! — أى حــال بعــد ذا لم يحـل ؟[2]
كل يوم حــادث مــســتــقــبل — ليت شعرى ما حديث المقبل ؟
ضـجت الأهـرام فى مـوقـفـهـا — وجــــرى النـيـل بدمع هـطل
كنت تجـرى أيهـا النيل كـمـا — شئت فى القطرين عذب المنهل
يوم كــان المجـد مـرفـوع اللوا — بـهـــدى العلم وبـأس العـــمـل

* * *

دالت[3] الأيام واحــتـل الحـــمى — ظـالم عن ظلـمــــــه لـم ينـم
لفظتــه[4] أرضــه من بـعـد مـا — أطـمــعــتــه نـفــســه فى الأمم
فـهو فى الهند وفى مـصـر وفى — كل أرض شــــر ضـــيـف نـهـم
نـاكـث[5] الأيـمـان فـى إيمـانـه — حــانث[6] لم يحـتــفظ بـالذمم

---

(١) نشرت هذه القصيدة في « اللواء » الصادر يوم الاثنين ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣٢٧ – ١٠ يناير سنة ١٩١٠ بعد أن القيتها فى جلسة المؤتمر الوطني الثالثة أى قبل النشر بيومين، أما هذا المؤتمر فإنه ينعقد كل عام بدار « اللواء » ويكون جامعاً لأعضاء الحزب الوطني العاملين ويخطب فيه رئيس الحزب ومن شاء من أعضاء لجنته الإدارية وغيرهم وتكون هذه الخطب جامعة لأعمال الحزب فى العام السالف شارحة للحركة السياسية العامة شرحاً وافيا معبرة عن رغبات الأمة وامانيها بأجلى بيان، وقد كان مؤتمر هذا العام أول مؤتمر بقي منعقدا يومين « الجمعة والسبت » وحضره صحافيون من مصر وفرنسا وخطب فيه المسيو كرتلمون لمسلم الفرنسى والكاتب الصحافى العظيم بفرنسا وكذلك خطبت « المداموزيل بيبيه » مندوبة جريدة « الاكلير » الباريسية ودار فيه البحث في أهم الشؤون الحاضرة والقيت على رئيس الحزب فريد بك أسئلة جمة من أكثر الأعضاء فأجاب عنها بما عهد فيه من إصالة الرأى وسداد الجواب.

(٢) يتحول (٣) دارت (٤) طرحته (٥) ناقض (٦) أى مخلف كاذب

باعث الجهل مميت للحجا[1] | خاذل الحق نصير الجرم
لا رعاه الله من مغتصب | أشأم اليوم نذير النقم
ورعى النيل وأجرى ماءه | ضاحك الوجه بشير النعم

* * *

أيها الشعب أفق ولى الظلا | م ولاح النور للمستبصر
فدع النوم وقف مستخبرا | هل لمصر فى الورى من خبر ؟
سائل التاريخ عنها إنه | صادق الأخبار جم العبر
تلك دار سجلت آثارها | بين إجلال وذكر عطر
هذه مصر وهذا ذكرها | ناطق الآيات باقى الأثر
فانهض اليوم ولا ترقب غدا | وادفع الشر بسيف الحذر
إنما الآلام آمال وفى | قدرة الشعب مدار القدر



(١) العقل.

آهة مصرى
ينوح على مصر[1]

آه كم أنة وكم حـــســـرات آه كم زفــرة وكم عــبـــرات
طال ليل البلاد والشعب سار[2] لا يرى غــيـــر هذه الظلمــات
ظلمـــــات من المطالم أودت بضـيــاء الحـيــاة بعـد الحـيــاة
يشتكى الشعب والقضاة خصوم فلمن يشتكى خصام القضاة؟
أوشك القلب أن يطير انتقاماً بيـــد أن الصـــدور ذات أناة[3]
ليس للصبر موطن فى فؤاد أضـرمـتـه لواعج الزفرات[4]
بين جنبى مسهد مستهام ليس يشكو هو فتى أو فتاة
همه مصر خير أرض أقلت[5] بعد خير الهداة شر البغاة[6]؟
طلع النحس بالشقاء عليها ودهاها الزمــــان بالويلات
قهرتها يد الطغاة وكانت مـصـر أولى بقطع أيدى الطغاة

* * *

يارُبَى[7] النيل جادك النيل هل أجـ ـدبت من قبل هذه السنوات؟
هل سنو يوسف أبر بمصـــر أم سنو الاحـتـلال والأزمــات
مـــا لمصـــر تنكرت ورمـــاها سيىء الحظ فى يد السيئات؟

---

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء وغيره يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٣٢٨ ٢٠ يناير سنة ١٩١٠.
(٢) الساري هو السائر ليلاً. (٣) الأناة الحلم.
(٤) أى أشعلته النيران المتصاعدة مع أنفاس الوطنى الحارة.
(٥) حملت (٦) الظالمين (٧) جمع رابية وهي اعالي الأرض.

أين عهد الجلال فى ملك مصر ؟ أين عصر العلوم والحسنات ؟
حسنات على الزمان أقامت وزمان مضى بغير شكاة
تلك أيام انجلت[1] وعهود أصبحت خطرة من الخطرات

* * *

ليت شعرى مالى أنوح على مصـ ـر بقلب ومقلة ودواة[2]
وأرى الشعب ناهضا يتناجى بقلوب كثيرة الخفقات
ليس يدرى ولست أدرى سبيلا لبلوغ الرجاء قبل الفوات
أدركتنا الخطوب خطب فخطب وبلاء من العدا والولاة
فمتى ننقذ البلاد ونمضى بسلام إلى سبيل النجاة !

* * *

أيها الشعب إن فى النيل نارا فاتق النار بالهدى والثبات
وادفع الشر بالتى هى أولى وتجنب مساقط الزلات
إنهم يرقبون أمرا خطيرا فترقب أمورهم بالتفات
إن فى قبضة الشعوب حساما صادق البأس ماضى العزمات
يدع الخامل الجبان شجاعا ويبث[3] الحياة فى الأموات
ويجير البلاد من نكبات ويجر العدا إلى نكبات
ذلك العلم فاتخذه سلاحا يافتى النيل فهو حرب العداة
واجعل النفس والنفيس فداء بين ماض من الحياة وآت
واقض للمجد حاجة يبتغيها منك يوم الوفاء بالحاجات
يوم تمسى كنانة الله حصنا تتقيه كنانة الحادثات
وترى النيل باسم ربك يجرى يانع اليمن فائض البركات

---

(١) انكشفت ومضت. (٢) عين. (٣) ينشر.

رائحا غاديا يجدد عهدا ... من عهود الروحات والغدوات[1]

يافتى النيل أدرك النيل إنى ... ألمح الجبن فى قلوب الحماة

ليس فيهم فتى يجيب دعاء ... يوم يدوى بمصر صوت الدعاة

ألفوا الذل واستماتوا فماتوا ... فطرحهم فإنهم فى ممات

كيف ترجو الحياة من غير حى ... همه فى الوجود هم الشاة

جاهد اليوم ما استطعت ولا تنـ ... ـس غدا فهو مطمح النظرات

وانصر الشورى فى مواقفه الغرْ ... وزلزل مواقف النازلات

إن فى إسماعيل آية صدق ... فاتبعه فى صادق الحملات

وترنم بمدح قوم كرام ... حاربوا المبطلين بالبينات

أيدوا الحق عندما خذلته ... صور بينهم من النائبات

نطقت بغتة بما لقنوها ... فدهشنا بمنطق الآلات

* * *

بارك الله حزب يحى وإسما ... عيل بين المجاهدين الكماة

ينصرون البلاد نصراً عزيزاً ... ويقون القناة يوم القناة[2]

وأقال الديار عثرة قوم ... أصبحوا بينها من العثرات

وسموها بميسم العار ظلماً ... وأقاموا فى وجهها عقبات

ولعمرى ما بالديار من العا ... ر سوى ما بهذه الخزيات

لا قضى الله مأربا أملوه ... وقضى ما يشاء من لعنات

ورعى النيل أينما سار حتى ... يبلغ النيل مبلغ الرغبات

(١) إشارة إلى عهد العدل الإسلامي، والدولة الصالحة الدستورية أيام كان عمرو بن العاص والياً على مصر فكتب يصف النيل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بانه نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات، وهو خير عهد كان على مصر والمصريين خيراً وبركة.

(٢) أى يحفظون قناة السويس يوم يعرض على الجمعية العمومية أمرها وتطلب الحكومة منها موافقتها على مد امتيازها من سنة ١٩٦٩ إلى سنة ٢٠٠٨ فى نظير سراب لامع من المال يريده المستشار المالى ليبدده فى مجاهل السودان، وقد حقق الله أمل الأمة فى نوابها ورفضت الجمعية العمومية هذا المشروع بالاجماع إلا واحداً أراد تعديلا لم يعن به أحد.

السـين يضطـرب
والنيل ينتحب(١)

مــــا لقلب السين يضطرب | وأخــــوه النيل ينتـــحب ؟
بلغت باريس غـــايتـــهـــا | فــتــــولى نهـــرها الطرب
ودهت مـــصـــرا نوائبـــهـــا | فـــأصــــابت نيلهـــا النوب
إن يغض فالوجد مســتعـر | أو يفض فـــالدمع منسكب
فـهـو فى حـاليـه مكتئب | كـــاد منه الماء يلتـــهب
زاده شـــجـــوا على شـــجن | ذلك القلب الذي يجب(٢)
أيهـــا السين اتئـــد فلقـد | فـاض منك الويل والحرب(٣)
أصـــبـــحت باريس باكـيـة | فـبكى الأعـجـام والعـرب
إن باريســا وبهـــجـتـهـــا | نعـمـة الدنيـا ولا عـجب
أشـرقت فى الغرب ساطعـة | وضـيـاء الشـرق مغـترب
فلمـــحنا عند طلعـتــهـــا | حـجب الأنوار تحتـجب
ورأينا فـى مــــشـــــارقنا | نائى الآمـــال يقـــتـــرب
وهبـــتنا من مـــواهبـــهـــا | بعـــد مـــا كنا لهـــا نهب
فـأعـادت عـهـد من وهبـوا | وأعـــدنا عـــهـــد من طلبـــوا

(١) نشرت هذه القصيدة فى «اللواء» يوم الخميس ٢٣ محرم سنة ١٣٢٨ ٣ فبراير سنة ١٩١٠ بمناسبة فيضان نهر السين الذى أغرق باريس وألحق بها الحزن والأسف العام.

(٢) الشجو الحزن وكذا الشجن ويجب بمعنى يضطرب.

(٣) الحرب بفتح الحاء والراء بمعنى الويل.

وتجلت في منازلنا فانجلى عنا بها الغهب[1]
إن في آياتها حكما فاض منها العلم والأدب
كيف لا يبكي الأنام لها ولهم في أرضها نسب
كلما فازوا بمطلب لاح من باريس مطلب[2]
فهمو في أثرها تبع كيفما تختط ينجذبوا
هل سما شعب إلى أرب لم يكن فيه لها أرب
أو علا في أمة حسب لم يكن فيه لها حسب
كل مجد شاده سبب كان منها ذلك السبب
إن هذا عصرها ولها فيه ما ترجو وترتغب[3]
وحياة الغرب إذ سعدت فهي من باريس تكتسب
ومعالي السين إن نسبت أصبحت للنيل تنتسب

* * *

ياعروس الغرب لا نزلت بحماك الناضر الكرب
ليت شعري هل طغى نهر أم أفاضت دمعي السحب ؟
أنا ذو وجد عليك فلو جف دمعي راعك اللهب
لي فؤاد فيك ذو وله كاد من لوعاته يثب
بات فيك الماء منسربا وهو فيه الجمر منسرب[4]

---

(١) الغفلة.

(٢) المطلب بتشديد الطاء المفتوحة وفتح اللازم الطلب.

(٣) ترغب.

(٤) المنسرب الذى يدخل السرب وأصل السرب بفتح السين والراء البيت فى الأرض.

ليتنى أمسيت فى لجج ... ومياه السين لى نغب[1]
علها ترى حشاشة من ... شَفَّه من أجلها الوصب[2]
يا ربى باريس إن لنا ... رغبات فيك ترتقب
صانك الرحمن زاهرة ... ونأى عن روضك العطب

* * *

إن أتى بالمال مكتتب ... وجرى من نهرك الذهب
وتبارى الناس فى كرم ... فهو من كفيك مقتضب[3]

* * *

كيف أهدى اليوم تعزيتى ... ويدي لم يهدها النشب[4]
هل ترى مال الكنود[5] مضى ... وله فى سربه[6] سرب
وترى قوماً أولى نشب ... غير أن الجود مجتنب
جعلوا الأموال آلهة ... أسدلت من دونها الحجب
فى حصون من صيانتهم ... تترامى دونها الشهب
فإذا مدت لها يدهم ... مسها من شحهم رهب
فهى موتى فى مراقدها ... تتولى بعثها الحقب

---

(١) جمع نغبة وهى الجرعة.

(٢) الحشاشة بضم الحاء بقية الروح فى المريض، وشفه اي هزله والوصب المرض.

(٣) اى ماخوذ. (٤) المال

(٥) الكنود كافر النعمة والمراة كنود ايضاً.

(٦) السرب بكسر السين وسكون الراء النفس وأما السرب بفتح السين والراء فهو البيت في الأرض كما تقدم.

ليس في عبادها كرم   غير ما تقضي به «الرتب»

لو ملكت اليوم ما ملكوا   لروت من كفي الجدب[1]

فإلى باريس معذرتي   وعلى أهل اللها[2] العتب

إنني إن قمت مكتتبا   فبدر الدمع اكتتب



(١) الجدب بضم الجيم والدال الأرض الجدبة.

(٢) العطايا.

قناة السويس
إليكم نواب الجمعية العمومية[1]

أرادو بمصــــر مــــحنة وبلاء ... وجاءوا بكم يستعجلون قضاء

فلم يبق صـوت لـم يهب منـادياً ... ولـم يبق ســـمع لـم يلـب نـداء

تجمع شمل الشعب حول اجتماعكم ... وبتنا على أنفـاسكم رقــبـاء

ولو عدل القانون فينا وفيكمو ... لكنتم لنا يوم الرجـاء رجــاء

على أن آمــالاً تمشـت إليكمــو ... إذا شئـتمـو كـانت لمصـر هناء

وإن شئتموا كانت لها شر مأمل ... وكـان لكـم شـر الجـزاء جـزاء

---

(١) نشرت هذه الأبيات فى «اللواء» يوم الثلاثاء ٢٧ محرم سنة ١٣٢٨ ـ ٨ فبراير سنة ١٩١٠ وقد صدر الأمر العالي بانعقاد الجمعية العمومية للنظر في مشروع امتداد أجل امتياز قناة السويس فانعقدت الجمعية لذلك يوم الأربعاء ٢٨ محرم سنة ١٣٢٨ ـ ٩ فبراير سنة ١٩١٠ وافتتحها سمو الخديوى بخطبة مناسبة للموضوع ثم انقضت يوم السبت ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٢٨ ـ ٩ أبريل سنة ١٩١٠ أى مكثت شهرين منعقدة وقد انتخبت لجنة من بينها لفحص المشروع وتقديم تقرير واف عنه فقامت اللجنة خير قيام بعمل هذا التقرير وقدمته إلى الجمعية فتلى فى الجلسة المنعقدة فى مساء الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ ـ ٢٢ مارس سنة ١٩١٠ وهو يقضي برفض المشروع رفضاً باتاً. وفى مساء الخميس ٢٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ ـ ٨ أبريل سنة ١٩١٠ قررت الجمعية رفض هذا المشروع الضار بالبلاد ومستقبلها بالإجماع ما عدا مرقص بك سميكه الذى طلب قبوله مع التعديل ولم يعن أحد به كما تقدم. وقد برهن نواب الأمة على أهلية وجدارة بمراكز النيابة عنها وقدموا فى مدة انعقاد الجمعية كثيراً من الاقتراحات النافعة وتضافروا على طلب الدستور وإلغاء قانون المطبوعات فاستحقوا بذلك تكريم الأمة وتمجيدها ورضاء الرأى العام عنهم، أما المظاهرات التى اقيمت والخطب التى ألقيت والمقالات التى نشرت فى منسالة القناة وتحذير الجمعية من قبول مشروعها فلا يسعها إلا المجلدات الضخمة والصحف الكبرى، وقد تغيرت سياسة البلاد فى أثناء انعقاد الجمعية فقتل رئيس النظار واستقال رئيس الجمعية وصرح رئيس الوزارة الجديد في جلسة الجمعية المنعقدة فى مساء يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ ـ ٥ أبريل سنة ١٩١٠ بأن رأيها فى المشروع قطعي وقد كان فسبحان مغير الأحوال.

لقد بات قلب الشعب سهماً مصوباً سيمضى إلى النواب أو يتناءى
وبات يراع الكاتبين مهندا فاطلع من ليل المداد ضياء
وأصبح وجه الطرس وجه كريهة به أسطر كادت تسيل دماء
وها قد أتى يوم القناة معجلاً فويل لمن يوم القناة أساء



آية الذكرى
للفقيد العظيم[1]

كادت تسيل من العيون قلوب — باتت بنيران الشجون تذوب
عامان لم يدعا فؤاداً خالياً — حتى عرته لوعة ووجيب[2]
تشكو القلوب إلى الزمان مصابها — والدهر يرمى سهمه فيصيب
يا دهر طال من الحبيب غيابه — فالى متى هذا الحبيب يغيب ؟
راع القلوب[3] فراقه فتلفتت — علّ الحبيب من الفراق يؤوب
أما الديار فما أجابت سائلاً — وهى التى كانت تعى وتجيب
يا دار أسكتك الأسى وتكلمت — بجماك من بعد الخطوب خطوب
يا ليث شعرى هل تطوف بك المنى — ويكون من بعد الحبيب حبيب
من للبلاد وقد تغيب بدرها — إن ضل سار بالرجاء يجوب
أو للنزال وقائد الجند ارتمى — بين المنايا والكروب كروب ؟

* * *

أى مصطفى نزلت بمصر نوازل — كادت لها ولدان مصر تشيب
هل جاءك النبأ العظيم وأنه — نبأ لعمرك فى البلاد مريب ؟
أمسى له الدين الحنيف مروعاً — وله بيثرب أنة ونحيب

---

(١) نشرت هذه القصيدة باللواء يوم الأثنين ٤ صفر سنة ١٣٢٨ ـ ١٤ فبراير سنة ١٩١٠ بمناسبة ذكرى فقيد الوطن المرحوم مصطفى كامل بعد عامين وقد تضمنت أهم الحوادث السياسية في عام.

(٢) اضطراب.

(٣) أي أخافها.

جلدوا شيوخ الدين بين قبيلهم ... فى قبلة أزرى بها التعذيب[1]
والأزهر المعتز أصبح موطئاً ... للنعل فيها جيئة وذهوب
دهموا بنيه بخيلهم وبرجلهم ... ظلماً وقالوا إنه تأديب
عابوا على القوم الكرام نهوضهم ... وتوهموا أن الهدى تثريب[2]
ورأوا مطالبهم فطال سكوتهم ... ثم ارتأوا أن الحقوق ذنوب
حملوا عليهم حملة لو شمتها ... لحسبت أن شبت بمصر حروب
ولكنت تحمل حملة مشهودة ... تتزلزل الأقدام حين تنيب[3]
عاد الكرام إلى معاهدهم بما ... نالوا ولم يجب النداء مجيب
هذا حديثهم وبين قلوبنا ... فى كل يوم حادث مشبوب[4]

* * *

هل جاءك النبأ الذى أمسى له ... فى كل قلب مسرب ودبيب
دبت إلينا فى الخفاء مكيدة ... كادت بها آمال مصر تخيب
لولا سكينتنا ولولا حلمنا ... لقضى على شمس السلام غروب
هم جردوا القانون[5] من أكفانه ... وترقبوا الأقلام حين تصيب
راموا به ضرباً على أقلامنا ... ياليت شعرى أينا المضروب؟

---

(١) أي أن حمادة باشا وجنده المهزوم أمر بجلد بعض الأزهريين في قبلة الأزهر الشريف فجلدوا وإخوانهم يرونهم ولم يرع هذا المستبد للمسجد وقبلته حرمة بل أزري بهما وأهانهما ولكن لا يسعني الآن إلا الدعاء له بالرحمة الواسعة فقد ادركته الوفاة يوم ١١ يونية سنة ١٩١٠ علي إحدي البواخر وهو عائد من الأستانة إلي بيروت طلباً للشفاء من مرضه. وكان ذلك عند وصولي إلي هذا المكان من الكتاب. فرحمه الله.

(٢) التثريب نهاية اللوم والتقبيح.

(٣) تصيب.

(٤) اي مضطرم متقد

(٥) أي قانون المطبوعات.

هل ميت يقضى على حى وهل ... حى إلى غير الحياة بنيب[1]
إن أرهبونا بالقواضب والقنا[2] ... فيراعنا الماضى هو المرهوب
أو أرسلوا فى النيل جيشاً غالباً ... فالجيش عند لقائنا مغلوب
هل يخفضون لواءك المرفوع فى ... مصر وأنت على «اللواء» رقيب؟
لو كنت حاضرنا وقد حم القضا ... وتنزلت بالنازلات غيوب
لرأيت نائبك الكريم وقد مضى ... للسجن يبسم والقضاء قطوب[3]
والشعب متقد القلوب كأنها ... جمر له بين الضلوع شبوب
أما الكنانة فهى مهجة وامق[4] ... لم يدر أين تحول المحبوب
باتت ثلاثة أشهر خفاقة ... والنيل يجرى دمعه المسكوب
حتى بدا عبدالعزيز ووجهه ... فيه لمصر مأمل مرغوب
الدهر يكتب مجده الاسمى وفى ... صحف القلوب له الهوى مكتوب

* * *

هذا حديث عن لوائك مرسل ... فأجب فإن حديثه لعجيب
زعموا المحال[5] وأنذروه حينما ... سجنوا فتاه وانقضى المطلوب

* * *

فى مصر قامت دون ذلك ضجة ... فيها لكتاب الهوى أسلوب

---

(١) يرجع.
(٢) القواضب السيوف والقنا الرماح.
(٣) عابس.
(٤) الوامق المحب والمقة بكسر الميم المحبة.
(٥) أي انهم أرادوا بإنذار «اللواء» أن يوهموا أن قانون المطبوعات سار علي الأجانب والوطنيين معاً والحقيقة انهم زعموا محالاً فإن الصحف الأجنبية في مصر متمتعة بجميع حريتها ولا سلطان لهذا القانون الجائر عليها مع أن منها ما تملأ أنهارها هاكل يوم بالمطاعن المنكرة في الدين والفضاء والأمة وحكامها الوطنيين مما تستوجب لأجله التدمير ولكن يد الحكومة بجنودها وقوانينها عاجزة عن الوصول إليها وقد كان اللواء في ذلك الحين مستظلاً بحماية مدير سياسته الغيور المفضال الدكتور منصور رفعت المتجنس بالجنسية الأمريكية وكان له ما لسائر الصحف الأجنبية من الحقوق ولكن الحكومة انتهزت فرصة سفر الدكتور خارج القطر وانذرت اللواء تعسفاً واستبداداً.

قاضى القضاة يصون حقاً واجباً   والحق بين يدى سـواه سليب
جحدوا الحقوق وحاولوا ما حاولوا   حتى مضى يحيى وجاء نسيب[1]

* * *

أعلمت مـا أمـر القناة وإنه   أمـر بآلام النفـوس مشـوب؟
فالمستشار يروم صفقة خاسر   تغنى بها فى غير مصر جيوب
والشعب دون مرامه متجمع   فى كل حى كـاتب وخطيب
ولئن رموا تلك الجموع بملئهم   فالماء فى نار القلوب لهيب[2]
هم أوقدوا النيران فى أحشائنا   ولريحها فى الحادثات هبوب
فإذا تهيب تشب عند هبوبها   نار لها فى الجانبين نشوب
يا أيها النواب بين يديكمو   أمل قضاؤكمو عليه رهيب
صونوا القناة وحاذروا أن تخدعوا   فالمستشار بمال مصر لعوب

* * *

أى مصطفى أن الحوادث جمة   وبمصر من تلك الخطوب ضروب
عبست لنا الأيام بعدك وانقضى   عـهـد الصفـاء وأنه لقريب

---

(١) حادثة قاضي القضاة يحي افندي ترجع إلى شدة تمسكه بالحق وحرصه علي حقوقه الشرعية في مصر ولكن الحكومة لم يرق في نظرها ذلك وأرادت سن لوائح وقضاء مآرب لم يوافق القاضي عليها فسعت سعيها وأوفدت إلي الأستانة من أوفدت ومازالت تعمل علي استبدال هذا القاضي العادل الشجاع بسواه حتي تم لها ذلك وغادر يحيي أفندي مصر في صباح يوم الأربعاء ٢٨ جمادي الأولي سنة ١٣٢٧ ـ ١٦ يونيه سنة ١٩٠٩ مودعاً بالجماهير محتشدة الهاتفة بدعاء الحياة والإجلال وحل محله القاضي الجديد نسيب أفندي الذي قدم إلي مصر يوم السبت ٦ شعبان سنة ١٣٢٧ ـ ١١ سبتمبر سنة ١٩٠٩ وقد كان للمعية اليد الطولي في هذه الحادثة التي أسف الرأي العام لوقوعها أسفاً شديداً.

(٢) احتشدت الجماهير الكثيرة حول مقر الجمعية العمومية يوم انعقادها للنظر في مشروع القانون وقامت بمظاهرات رهيبة ولكن البوليس المستبد حال بينهم وبين إسماع صوتهم لنواب الأمة وأميرها المعظم وجاء بمضخات الحريق التي كثر استعمالها في هذه الأيام عند كل مظاهرة أو اجتماع وطني لتفريق الجموع بالمياه وقد ذهب وفد نائب عن هذه المظاهرة إلي حكمدار القاهرة يسأله كف رجال البوليس عن منع المتظاهرين ومطاردتهم ما داموا لم يخرجوا عن دائرة القانون فكان جوابه الرفض وقال: «أنا القانون والجنود جنودي» ذلك جواب هارفي باشا حكمدار العاصمة الانجليزي!!.

غادرتنا وأقمت حزبك ناهضاً ... وله مكان فى النفوس مهيب

فسما به ذاك الرئيس وأنه ... للداء إن عز الدواء طبيب

هذا خليفتك الأبر محمد ... هذا الذى فى النائبات ينوب

لبق بتصريف السياسة كيس[1] ... كلف بآمال البلاد طروب

فاهنأ بنعمتك التي ما شابها ... من بين آلام الحياة لغوب[2]

في كل عام يوم ذكرك موكب ... يسعى إليك به الأسى ويثوب[3]

عشرات آلاف تجمع شملهم ... ومشت إليك بهم نهى وقلوب[4]

لا زال فى مصر لواؤك خافقاً ... من حوله شعب أغر نجيب



(١) اللبق الحاذق في عمله والكيس العاقل الجازم وهي نعوت جدير بأمثالها محمد بك فريد الناهض بأعباء الحزب الوطني خير نهوض بعد رئيسه الأول.

(٢) تعب وإعياء.

(٣) يعود ويرجع.

(٤) النهي العقول جمع نهية أي عقل والنون مضمومة فيهما.

آية أخرى[1]

أيهـــا الفـــتى جـــرد القلم وانشـــر الأسى واشـــرح الألم

غـاب مصطفى حاضـر الهمم رافـع اللوا خــــافق العلم

صـــائن الحمى ناصـــر الهـــرم عـــاد يومـــه فـــاذكـــر الشـــيم

ابن الحـــجـــا [2]وأندب الكرم واقتف[3] الهدى واقـرأ الحكم

مدمعى جرئ وجدى اضطرم كـيف أشتكى عـادى العدم

غـــاله[4] ولم يحـــفظ الذمم كـــيف ينطوى ذلك العلم

ليـــتنى أرى ذلك الشـــمم كـيف دان[5] للمـوت وانهزم

هـل درى الـردى مـن بـه ألـم أو رأى القـضـا ركن من هدم

يوم ذكـــره ضـــاعف الندم فـالعيـون فى بحـرها لخضم[6]

طال ليلهـــا وهى لم تنم أشرق الضحى وهى فى الظلم

لا ترى ســـوى وجـــه من ظلم والقلوب قـــد نالهـــا الســـأم

والجسـوم قـد شـفهـا السقم أين مـــصطفى يرسل النعم

---

(١) نظمت هذه الأبيات في ذكرى المرحوم مصطفى كامل بعد أن نظمت القصيدة السابقة وقد جعلتها على هذا الوزن المحدث الذي نظم منه شاعر الأمير بي وصف باللو أقيم في سراي عابدين فقال:

مـــــال واحــــتـــجـــب وادعـــي الـغــــــضـــب

(٢) أي اذكر مناقب العقل لذي تحلى به الفقد العظيم واثن عليه بما شاء الثناء.

(٣) اتبع.

(٤) أخذه.

(٥) خضع.

(٦) الخضم بكسر الخاء وفتح الضاد وتشديد الميم العظيم المتلاطم.

فالبلاد فى قبضة النقم والحقوق لم يرعها الحكم
والقناة[1] فى مصر تقتسم بات أمرها عبرة الأمم
هل ترى الذى جار واحتكم؟ ظن بيعها فيه مغتنم
وهو فى الذى قال متهم ليته قضى الأمر واحتشم[2]

* * *

يا قناة فى مائك الضرم فاحفظى الذى فيك مكتتم
إنما القضا عنده يحم إن يومه لاح وابتسم

* * *

اذكر الذى قبره حرم كل مأمل عنده ارتسم
جاده الحيا وكلما انتظم فهو روضة حسنها استتم



(١) أي قناة السويس.

(٢) كان جماعة من أولي الأمر يروجون مشروع القناة ويدعون أنه خير عظيم لمصر والمصريين والحقيقة أنه لا خير فيه لغير مروجيه.

الحادث الخطير[1]

قتل رئيس النظار السابق

ماذا جرى في ساحة الديوان فدوى نذير الموت في الأركان
طلقات نار أم طعان مهند أودت ببطرس من يد الورداني
ماذا دهى شيخ الوزارة فارتمى فوق الثرى يشكو الردى ويعاني
ما لي أراه مضرجاً[2] بدمائه وأرى الرغام[3] بموضع النيشان
وافاه إبراهيم مجترئا على ما كان من بأس ومن سلطان
ورماه عن كثب[4] بست عجلت خطوات عزرائيل بالأكفان

---

(١) في نحو الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد ٩ صفر سنة ١٣٢٨ ـ ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ أطلق إبراهيم أفندي ناصف الورداني صاحب صيدلية الورداني بشارع عابدين مسدسه على رئيس النظار السابق بطرس باشا غالي عند ركوبه عربته أمام نظارة الحقانية فوقع على الأرض مضرجاً بدمه وثبت الفاعل في موقعه حتى قبض عليه حاجب النائب العمومي وناظر الحقانية رشدي باشا ووكيلها فتحي باشا وعبدالخالق ثروت باشا النائب العمومي الذين كانوا مع الرئيس إلى قبل ركوبه العربة وما كادوا يعودون إلى الديوان حتى سمعوا طلقات النار فأسرعوا إلى حيث قبضوا على الورداني الذي لم يحاول الفرار مطلقاً وقد نقل المصاب إلي مستشفى ملتون بعد إخراج أربع رصاصات غير خطرة من جسمه وعملت له هناك في نحو الساعة السادسة مساء عملية لإخراج رصاصة خامسة خطرة أما السادسة فقد مرت ولم تستقر بمكان من جسمه وقد قضي عليه في الساعة الثامنة والربع من صباح اليوم الثاني. واحتفلت الحكومة بجنازته في اليوم الثالث في الساعة العاشرة والنصف صباحاً وعطلت الدواوين وكان قد زاره أول يوم بالمستشفي سمو الخديوي والسير الدون غورست وغيرهما والفت الوزارة الجديدة في اليوم الرابع «الأربعاء» من عطوفة محمد سعيد باشا رئيساً للنظار وناظراً للداخلية وأصحاب السعادة سعد باشا زغلول للحقانية وإسماعيل سري باشا للأشغال والحربية والبحرية ويوسف سابا باشا للمالية وحسين رشدي باشا للخارجية وأحمد حشمت باشا للمعارف وكلهم من أعضاء الوزارة السابقة ما عدا سابا باشا.

(٢) مطلخاً. (٣) التراب.

(٤) قرب.

نفذت إلى الأحشاء واحدة ثوت[1] في طيها مشبوبة النيران

وأتى الطبيب يقيه صدمتها بصد مته فكان هو القضاء الثانى[2]

لم يغن بطرس قومه وأساته[3] فمضى من الدنيا إلى الديان[4]

وبكته أقباط البلاد وأنه عكاز عاجزهم[5] وعون الفانى[6]

إنى لأذكره وأذكر أنه للقبط خير مؤمل معوان

أحياهمو قبل الممات فأصبحوا يبكون باعثهم مدى الأزمان

فعليه منهم رحمة وعليهمو أخرى يهب بها صداه العانى[7]

* * *

مالى أراهم مهرعين[8] إلى الفتى وأراه لا يبغى فرار جبان

نالوه بالشر الذى يرضيهمو وجنوا عليه وهو ليس بجان[9]

ومضت يد منهم إليه بلطمة[10] ويداه فى الأغلال موثقتان

لو أنصفوا تركوه للقانون لا يبغونه دون القضا بهوان

* * *

(١) أقامت.

(٢) أي جاء الطبيب ليحفظه وبقية آلامها وتأثيرها ولكن صدمته كانت القاضية لأن العملية كما قال المحامون وكثيرون من الأطباء أمام المحكمة جاءت في وقت غير مناسب فسببت الوفاة.

(٣) أطباؤه.

(٤) المجازي كلا بما كسبت يداه.

(٥) روت جريدة «الأخبار» أن بطريرك الأقباط حينما وصل إليه نبأ الرئيس وكان مريضاً هم بالقيام فلم يستطع فقال: آه يا خسارة يا عكاز العاجز يا بطرس.

(٦) الشيخ الهرم.

(٧) الصدى هو ما يجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها والعاني الأسير.

(٨) مسرعين.

(٩) أي ليس بجان عليهم.

(١٠) روت الصحف ما معناه أن رشدي باشا ناظر الحقانية أن ذاك لطم الورداني لطمة بعد أن أوثقوا يديه قائلاً «لماذا قتلت الرئيس» فرفسه الورداني برجله قائلاً: «لأنه جعل مثلك في الوزارة.

سألوه فى التحقيق عن أسباب ما ... نكروه من قتل ومن عدوان

فأجابهم أما القتيل فإنه ... فيما أراه خائن الأوطان

فى مصر والسودان آثار روت ... عنه خيانة مصر والسودان[1]

أما أنا فقضيت حقاً واجباً ... للنيل عن حب وعن إيمان

ما كنت مندفعاً بغير عقيدة ... لم أبدها يوماً إلى إنسان

هى حب مصر وحرب خائنها وما ... شابت هداها نزعة الأديان

فعلى عاقبة القضاء وإننى ... ألقى الجزاء العدل باطمئنان



(١) لما سئل الورداني أفندى عن الأسباب التي حملته عن قتل رئيس النظار أجاب: «أني قتلته لأنه خائن لوطنه فقد وقع علي شركة السودان الباطلة ورأس محكمة دنشواي وأصدر قانون المطبوعات وأهان أعضاء الجمعية العمومية وهو الآن يحاول مد امتياز قناة السويس فهو خائن للوطن.

إلى القاضي العادل

حكمت فأرضيت البلاد وأهلها ... وحياك عيسى بعد موسى وأحمدا[1]

وأثنى عليك الله بين ملائك ... ترتل في ذكراك حمداً مرددا

ثمانية أحييتهم ورقابهم ... أقام عليها الموت سيفاً مجردا[2]

وراقبت فيهم وجه ربك مرسلا ... من العدل آيات وحكماً مسددا

فخلدت الأيام ذكرك بيننا ... وبات لك الشعب المجيد ممجدا

---

(١) كناية عن تحيته والثناء عليه من الأمة على اختلاف أديانها الممثلة في أشخاص أولئك الأنبياء الثلاثة عليهم الصلاة والسلام.

(٢) لما قتل رئيس النظار أخذت النيابة العمومية في تفتيش المنازل التي تقوم على علاقة أربابها بالحادثة الشبه والأوهام وقد هاجمت بيوتاً كثيرة وأزعجت أناساً كثيرين وقبضت على من شاءت من الأبرياء وأودعت السجون من شاءت حتى انتهي الأمر بالإفراج عن المقبوض عليهم ما عدا ثمانية رأت النيابة إدانتهم لأنها عثرت في أوراق الورداني على عقد باسم «جميعة التضامن الأخوي» يفيد أن هناك جمعية من غرضها السعي في نيل الدستور ولو بالقوة وعليه توقيع هؤلاء الثمانية «الأبرياء» فاعتبرتهم مدينين وفتشت منازلهم فعثرت على هذا العقد لدى بعضهم فأحالتهم بناء على هذه الشبه على قاضي الإحالة مع الورداني ليبت في أمرهم ويحيلهم على محكمة الجنايات لمحاكمتهم على هذه الجريمة الموهومة ولكن هذا القاضي العادل «متولى بك غنيم» قرر براءتهم في الجلسة المنعقدة في الساعة التاسعة من صباح يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٢٣ مارس سنة ١٩١٠ وأفرج عنهم فاستحق ثناء الأمة بأسرها على عدله ونزاهته وقد أثنيت عليه بهذه الأبيات ونشرتها حين ذاك أما هؤلاء الثمانية الأبرياء فهم حضرات الأفندية علي مراد ومحمود أنيس وعبدالعزيز رفعت «المهندسين» وعبده البرقوقي وشفيق منصور «الطالبين بمدرسة الحقوق الخديوية» ومحمد كمال الطالب بالمهندسخانة وعبدالخالق عطية المحامي وحبيب حسن المدرس ولكن الحكومة أرادت ألا يفلتوا من عقابها فعاقبت من تحت سيطرة وظائفها منهم بالرفت وكذلك رفتت الطلبة الثلاثة وحرمتهم وهم في نهاية سني دراستهم دخول الامتحانات العمومية عامين. وكذلك يفعل الظلم والاستبداد في الحكومة الاحتلالية.

لك الله من قــاص تولى أمــورنا فكان لنا عـنـد الشـدائد مـسـعـدا

رأى النيل يبكى و لخطوب جسيمة وفى مصر شعب يشتكى عادى العدا

فلم يخش إلا الله عند قـضــائه وصــان حــقــوق الأبرياء وأيدا

سلام عليك اليوم يا خيـر عادل أعـاد عـهـود الراشـدين وجـددا



إلى خطيب السلام[1]

خطبت فلم تجنح[2] إلى شرعه الهوى ... ولم تتخذ نهج الخصام سبيلا
وأنصفت قوماً أنت منهم وإن عدا ... عليهم جهول أو أعان جهولا
فما أنت قبطي يبيع بلاده ... ويرضى بدين الجاهلين بديلا
وما أمة القرآن في مصر أمة ... ترى أمة الإنجيل أبغض جيلا
فأنا وأنتم إخوة في بلادنا ... أقمنا على دين السلام طويلا
نذود عن الأوطان إن طم[3] حادث ... ونحمي حماها بكرة وأصيلا
ولكن قوماً فيكمو ساء فألهم ... فزفوا إلينا السيئات فصولا
يرى بعضهم أنا كسوناه ذلة ... وبالرغم منا أن يكون ذليلا
وآخر يخشى بطشنا وسواهما ... يظن بنا شراً عليه وبيلا
وقد أجمعوا الأمر الذي يبتغونه ... عشية ما راح الوزير قتيلا

---

(١) هو مرقص أفندي فهمي المحامي القبطي الذي ألقي خطبة في حفلة قبطية أقيمت بحديقة الأزبكية وحيا فيها الثمانية الأبرياء الذين برأهم عدل القضاء واستقلاله ونفي عن المسلمين تهمة التعصب كما حصر عمل الورداني في شخص فاعله وعده عملاً يأسف عليه كل مصري مسلماً كان أو قبطياً وسفه أقوال الذين يتهمون طائفة من الأمة بالاشتراك في هذا العمل وبالجملة فإنه دعا إلي الوفاق والوئام بين أبناء البلد الواحد من مسلمين وأقباط فكان لا كثر قوله وقع حسن لدى طلاب السلام أم الجريدتان القبطيتان فلم يردعهما رادع عن غيهما واستخدامهما هذه الحادثة لأغراض الجهلاء الشخصية ورمي الإسلام والحزب الوطني بالمطاعن والمثالب. والكذب والافتراء علي الأمة الهادئة المطمئنة والحكومة تسمع وتري ولا تحرك ساكناً.

(٢) تمل.

(٣) أي غلب ودهم.

وشنوا علينا غـارة بعـد غـارة وأنهـوا إلى الإسلام أسوأ قيـلا

وقالوا قتلتم بطرسا وبعثتمـو إليـه فتـاكم بالرصـاص رسولا

فأرسلهـا ستّ إليـه سريعـة فبات لها مجرى الدماء مسيلا

وأصبح لا وجد عليه ولا جوى وقد كان معتز الجناب جليلا

وما قول إبراهيم إلا كفعله يراه بنو مصر الفتاة نبيلا

سيدفعهم يوماً إلى القبط دفعة فتقضى عليهم فتية وكهولا

وبين صدور المسلمين سخيمة تحل بنا يوم الجلاء حلولا

فلا زال وادى النيل فى قبضة العدا ولا أزمع المحتل عنه رحيلا

فماذا ترى قوم الضلال وقولهم وهل لا ترى فى المسلمين قؤولا ؟

لعمرك إنا ما عدمنا مقالة ولكن رأينا فى المقال فضولا

ولو شاء منا قائل رد صدمة إلى القبط ألفيت القؤول فعولا

ولكن إخاء لا نحون عهوده وإن كنتمو عند الوفاء قليلا

فسر فى سبيل الصدق يا خير قائل أقام على صدق الولاء دليلا

وأقبل نحو الأبرياء مكبراً وأثنى على عدل القضاء جميلا

ففى ذمة الأهرام موقفك الذى روى النيل والأهرام منه غليلا



---

(١) أبلغوا .

(٢) أي ضغينة وحقد .

(٣) أي زعموا أن المسلمين سينزلون بهم الويل والدمار يوم ينجلي الاحتلال عن هذه الديار ولهذا سالوا الله أن يديم عهده عليهم قبحهم الله .

(٤) أزمع الأمر وأزمع عليه ثبت عليه عزمه .

يوم القضاء
علي إبراهيم أفندي ناصف الورداني

هل خال[1] إبراهيم عند قضاته أمـلا من الآمـال دون حـيـاته
لم يغنه حسن الدفاع[2] ولم تفد فتوى الشريعة وهى حصن نجاته
فقضوا على هذا الشباب[3] وربه لم يثنه الإعـدام دون ثبـاته
حـتى كـأن الموت من رغـبـاته ليكون فى الأحـيـاء بعد مماته[4]

١) ظن.

٢) كان الدفاع مؤلفاً من حضرات أحمد بك لطفي ومحمود بك أبي النصر وإبراهيم بك الهلباوي «الذي قضي رئيس الجلسة يجعلها سرية حينما أراد أن يتكلم في بعض المسائل السياسة» وناهيك بأمثال أولئك المحامين الكبار.

٣) لم يتجاوز الورداني ٢٥ ربيعاً وقد كان اسمر اللون نحيف الجسم متوسط القامة عصبي المزاج كثيراً الابتسام شديد الحياء طويل التفكير دمث الاخلاق كريم الأعراق غيوراً علي الوطن مجداً في سبيل رقية محباً لنشر العلم وتاسيس النقابات والإكثار من الجميعات النافعة وغير ذلك من وسائل التقدم ودلائل الوطنية الصحيحة عرفته في عامة الاخير متحلياً بهذه النعوت الكريمة وما كان يدور بخلد عارفي هذه الأخلاق الوديعة أن صاحبها يخطر له خاطر القتل السياسي فيعمل علي تنفيذه حتي يتم له ما اراد غير هياب ولا وجل ولكن الله يقلب القلوب ويعلم ما تكن الصدور.

كان يوم الخميس ١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ ـ ٢١ أبريل سنة ١٩١٠ موعد النظر في قضية الورداني أمام محكمة الجنايات المنعقدة جلستها تحت رياسة المستر دولبروغلو وكان ثروت باشا النائب العمومي هو القائم بعمل النيابة وهي أول مرة قام فيها هذا المقام. وقد افتتحت الجلسة الساعة ٩ صباحاً واستمرت في سماع الشهود إثباتاً وغيباً حتى انقضي اليوم وأعيدت في صباح اليوم التالي وبعد الانتهاء من سماع الشهود طعن الدفاع في شهادة الإثبات وتمسكت النيابة بها فقررت المحكمة عرض المسالة علي لجنة من الأطباء باعتبارهم خبراء ليبدوا رايهم في أقوال الفريقين الدائرة حول أسباب الوفاة الناتجة من العملية علي راي الدفاع وشهوده أو «الصدمة» الأولي علي رأي النيابة وشهودها وفي يوم الخميس ٣ جمادي الأولي سنة ١٣٢٨ ـ ١٢ مايو سنة ١٩١٠ الساعة ٤ مساء انعقدت هذه الجلسة وتلي تقريرالخبراء وترافعت النيابة وأخذ الدفاع في سبيل بيانه =

تحية العلم(1)

إلى رئيس الحزب الوطني

هوى «اللواء» فصاح بعده «العلماء»	وسر به في حمى القطرين معتصما
لك القلوب جنود لا يزحزحها	عن موقف النصر خطب هان أو عظما
هواك في سرها المكنون مستتر	فأينما كنت كان الحب مرتسما

= وتقديم حججه وبينات آياته. وكان الحكم في مساء اليوم التالي الجمعة فقضي بإحالة أوراق القضية على المفتي الديار المصرية تمهيدا للحكم بالإعدام فأفتى بعدم توفر الشروط الشرعية المسوغة لإعدام المتهم.

وبما أن رأيه استشاري ليس إلا فقد سمعته المحكمة ولكنها حكمت بالإعداد في جلستها المنعقدة في صباح يوم الأربعاء وجمادي الأولى سنة ١٣٢٠، – ١٨ مايو سنة ١٩١٠ فقابل المتهم سماع هذا الحكم برباطة جأش وابتسام كما هي عادته في جميع أدوار القضية وكان حين ذاك واثقا بأمر المحكمة وبعد ذلك قدم الدفاع أوجه النقض وتعقدت جلسة النقض برئاسة المستر بوند الذي لم يفند طعن المتهم في رياسته هذه الجلسة مع أنه من قضاة دنشواي التي كانت مسألتها من أسباب قتل رئيس النظار فحكمت برفض طلب النقض صباح السبت ٤ جمادي الثانية سنة ١٣٢٨ – ١١ يونية سنة ١٩١٠ وأصبح إبراهيم أفندي ناصف الورداني الآن تحت رحمة الله فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) حدث ما حدث بين ورثة المرحوم مصطفى كامل فأدى الأمر أخيرا إلى حكم قاضي الأمور المستعجلة في المحكمة المختلطة بتعيين حارس قضائي على شركة «اللواء» يوم الأحد ٢٧ فبراير سنة ١٩١٠ ولما حل هذا الحارس بدار «اللواء» في اليوم الثاني أراد أن يتدخل في شأن التحرير فعارضه رئيس الحزب الوطني فريد بك محتجا بأن له وحده الإشراف على تحرير «اللواء» الذي كان حينئذ لسان حال الحزب، وقد اشتد الخلاف وانتهى في مساء هذا اليوم بقرار من الحزب الوطني يقضي بأن «اللواء» لم يصبح لسان حاله وقد نشرت الصحف هذا القرار في اليوم التالي «الثلاثاء أول مارس» وأنذر «اللواء» به بواسطة المحكمة وانسحب من إدارة سياسته الدكتور منصور رفعت وامتنع المحررون عن العمل واستقالوا حينما رأوا أن «اللواء» أصبح جريدة أشخاص ولم يعد تلك الجريدة الوطنية التي كانوا يخدمون بها مبادئ الحزب الوطني، وقرر الحزب إصدار جريدة تكون لسان حاله باسم «العلم» تصدر في الصباح مؤقتا وأخذ في إعداد عدتها وتأليف شركها، وقد تم أمرها وصدرت صباح يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٢٨– ٧ مارس =

أني رأيت الهوى العذرى[1] منهزما لما رأيت الهوى المصرى محتكما
لم يبق حبك قلبا فى البلاد له وجد على غير مصر بات مضطرما
يأأيها القائد المشهود موقفه لا بات جندك يوم النصر منهزما
قف وقفة رهب العادى مشاهدها واشرح لمصر حديثا كان مكتتما
أين «اللواء» الذى أبقاه صاحبه للحزب حصنا فكان اليوم منهدما؟
هل يحسب النفر المشئوم طالعهم أنا بما صنعوا نستدبر الهمما؟
والله يعلم أنا لا ينهنهنا[2] وقع الخطوب إذا ما جل واحتدما
فما لأصواتهم فى مصر منكرة وما لوجه «اللوا» الكنود ملتطما
قضوا على مصطفى من بعد ما بقيت ذكرى «اللواء» تناجى بعده الإمما[3]
وصوبوا السهم فارتدت به يدهم إلى نحورهمو تستقبل العدما
ماتوا ومات «اللوا» من بعد صاحبه وأمطر الله قبراً ضمهم رجما
وكم يد عبثت بالأمر خائنة وأرسل الجبن من أغلالها كرما
فقطعتها يد الاخلاص وانتثرت حمر الدنانير دمعاً قانئا ودما
وسلم الله حزبا أنت قائده من قائد جار بالعدوان واحتكما

= سنة ١٩١٠ فقابلتها الأمة بالقلوب قبل الأيدي وأحلتها محل «اللواء» بل أنها كانت خيراً منه فى خير أيامه وقد حييتها بهذه القصيدة التى نشرت بالعدد الأول منها، ومما أذكره هنا بالأسف أن «اللواء» بعد نفصال الحزب عنه أصبح أكثر الطاعنين فى رئيسه ولجنته الإدارية وخير رجاله وكتابه فلاقى من الأمة ما يستحق من الاهمال والاحتقار.

(١) الهوى العذري منسوب إلى بني عذرة قبيلة من العرب كثر فيها موت العاشقين لما اشتهر به أهلها من الجمال والعفة.

(٢) يمنعنا ويردعنا.

(٣) أى أنهم ظهروا بمظهر المتفاني المتغالي فى حب ومدح مصطفى كامل ولكنهم فى الحقيقة كانوا ألد أعدائه بما أعلنوه من الحرب الهوجاء على الحزب الوطنى ورجاله المخلصين العاملين حتى قضوا على «اللواء» وهو الأثر الأعظم لمصطفى كامل، فصدق القائل: «عدو عاقل خير من صديق جاهل».

إنا لنعلم سرا أنت تعلمه ... فدع حديث «اللواء» واذكر لنا «العلما»
أهلا بطلعته الغراء مشرقة ... على البلاد تحيى السيف والقلما
أنى أحيى لسان الحزب عن كثب ... وألمح النيل فى السودان مبتسما
فهل درى النيل فى القطرين أن له ... فى طلعة «العَلَم» المأمول مغتنما ؟
وهل رأى الشرق ذاك النور منبعثاً ... وأدرك الشعب من آياته حكما ؟
لازال فى مصر خفاقا يؤيده ... روح السلام إذا ما حادث دهما



إلى العلم بعد شهرين[1]

حجبوه شهرا بعد شهـر ... وسناه بين الشعب يسرى[2]

ما كان قبل حجابه ... متكلما إلا بقدر

حتى غدا بعد الحجا ... ب محدثاً فى كل أمر

شهرين يخفق فى الصدو ... ر مناجياً سرّاً بسر

برح الخفاء وبات يد ... رى أمره من ليس يدرى

وبدا تصافحه القلو ... ب فمرحباً بلواء مصر

انشر لنا مما طويـ ... ـت فإننا عشاق نشر

---

(١) ما كاد يمر على « العلم » اثنا عشر يوما ويصدر منه أحد عشر عدداً حتى صدر يوم السبت ١٩ مارس سنة ١٩١٠ قرار من مجلس النظار يقضي بتعطيله شهرين كاملين بدعوى أنه خرج عن حد الاعتدال « فى دفاعه عن الثمانية الأبرياء » وعمل على تكدير صفو العلائق بين الأمتين « مصر وإنجلترا » بطعنه فى عمل مستشار إنجليزى، وكان هذا القرار باكورة أعمال الوزارة السعيدية فاضطرب له الشعب اضطراب أسف وتالم واصدر الحزب جريدة « الاعتدال المصري » الأسبوعية فى موعد صدور « العلم » من اليوم التالي الأحد، ولكن الداخلية أرادت منعها من الظهور يوميا لأنها أسبوعية، فاصدر الحزب فى اليوم التالي الاثنين جريدة « الشعب » بدل الاعتدال ولكنها أسبوعية أيضاً، وقد رخص للاعتدال بثلاثة أيام في الأسبوع وصدر بعد « الشعب » يوم الثلاثاء وتلاه يوم الأربعاء « العدل » وهو جريدة أسبوعية مقرها مدينة طنطا، وجاء يوم الخميس فصدر « الاعتدال » أيضاً، وكان صاحب « الشعب » قد استبدل رخصته الأسبوعية بأخرى يومية بعد إجراء ما يقضي به قانون المطبوعات فصدر فى اليوم التالي الجمعة ٢٥ مارس واستمر يومياً حتى عاد « العلم » بعد انقضاء الشهرين يوم الجمعة ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨ – ٢٠ مايو سنة ١٩١٠ وقد أقبلت الأمة على كل جريدة كان يصدرها الحزب إقبالا عظيما وظهر الحزب بمظهر الحكمة والكياسة فى سياسته.

(٢) السنا النور والمعنى انهم وإن كانوا حجبوا « لعلم » إلا انهم لم يحجبوا ضياءه السارى بين الشعب الذى يشترك فى معنى لفظه الأمة والجريدة المسماة بهذا الاسم « الشعب.

لا نعرف السر الذى ... زعموه مجلبة لشر
إن الصراحة بيننا ... يجلو هداها كل فكر

* * *

ياأيها العلم الأمين ... على سريرة كل صدر
للحزب أنت لسانه ... تجرى بما يرضاه يجرى
كم حادث هتك الستو ... رغداة كنت حليف ستر
حجبوك حتى ينقضى ... ما كان من نهى وأمر
فبدت خلائق حكمهم ... للناس من زيد وعمرو
وقضى بما شاء الهدى ... قاضى الإحالة خير بر
خرج الثمانية الكرا ... م مكللين بتاج فخر
فاهنأ فأنت نصيرهم ... والله ناصر كل حر
وإذا تصبك مساءة ... فاصبر ليسر بعد عسر
ودع القضاء وذكره ... فى كل معروف ونكر
حسب القضا ذكر الزما ... ن بما يضيق لديه ذكرى
والله دون سهامه ... يهب الكنانة يوم نصر
يا مصر يوم النصر آ ... ت فارقبى اشراق فجر



روزفلت[1]

بعد خطبته فى الجامعة المصرية

لعمرك لست بالرجل الهمام ... إذا عُد الهمام من الكرام
كرام الناس أصدقهم حديثا ... وأبعد عن أكاذيب اللئام
فمالك لم تقم فى النيل إلا ... لتسمعنا أباطيل الكلام
أراك ترى البلاد بغير عين ... رأيت بها بلادك منذ عام
كأنا دون قومك فى المعالى ... ودونك فى اليراعة والحسام
رويداً يافتى التاريخ إنا ... لنا خطر[2] على الأيام نام
جمعنا الدين والدنيا وكنا ... أساتذة الورى من عهد سام[3]
فمن أنتم إذا افتخرت شعوب ... بمجد فى ذرا الأهرام سام؟

---

(١) اتخذ الإنجليز رئيس الولايات المتحدة السابق المستر روزفلت مبشراً بسياستهم الاستعمارية وانتهزوا فرصة سياحته بأفريقية فأوحوا إليه ما أوحوا فقام فى مدينة الخرطوم بالسودان بعمل التبشير خير قيام في خطبة القاها هناك ولما جاء إلى القاهرة وفي بوعده لجامعة المصرية وخطب فيها يوم الاثنين ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٢٨ - ٢٩ مارس ١٩١٠ خطبة قوبلت من الأمة بالاستياء العام والاحتجاج الشديد والاحتقار العظيم فأنه حكم عليها فى ساعات قضاها بينها في الفندق حكما جائرا رماها فيه بالعجز والخيانة والجهل والتعصب وعدم الأهلية لنيل الحكم الذاتى، وقد زاد السخط على الجامعة حينما منحته بعد خطبته لقب دكتور جزاء سبه وطعنه فيها وفى سائر الأمة وهو اول لقب منحته هذه الجامعة ومن الغريب أنها لا تملك حق هذا المنح، ولم تبلغ درجته بعد، وقد احتجت الأحزاب وخطب الخطباء وكتب الكتاب فى الرد على هذا الضيف الثقيل وقامت مظاهرة استياء ضده أمام نزلة «شبرد»، وقد سافر فى الساعة ١٠ من صباح يوم الأربعاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٠ فلقي بالإسكندرية مظاهرة أشد وأكبر من الأولى ونودي بسقوطه مرارا وسارت الجموع الهازئة به وراءه من المحطة إلى ان لاذ بالباخرة، وهناك هطلت عليه رسائل الطعن والاحتجاج من جميع طبقات الشعب، وقد غادر مصر كما دخلها بغيضا مرذولا.

(٢) منزلة وقدر. (٣) هو أبو العرب.

لنا ما كان من مجد تليد[١] ... وما كنتم هنالك فى الأنام

فإن شئتم سلوا التاريخ إنا ... أضأناه وأنتم فى ظلام

وإن شئتم سلوا عنكم كولمبو[٢] ... يخبركم بما قالت حذام

وفى الإسبان آيات عظام ... تذكركم بآيات عظام

لقد كنتم لأهل الأرض نهبا ... وكانت أرضكم أرض اغتنام

وكان الإنجليز لكم رؤوسا ... فهل رفعوا لكم هام[٣] احترام؟

ألم يدعوا ذمامكمو مباحا ... لرواد الخصام والاحتكام

وقد ساموكم الخسف اعتسافا ... وقادوكم إلى الموت الزؤام

فقام وشنجتون[٤] يقود منكم ... ليوثا للنجاة والانتقام

فأدرك ما يرجيه وأجلى ... أعاديكم بجالية السطام[٥]

ووالاه جفرسن[٦] مستذلا ... بسطوة عزه صعب المرام

أعز بحكمه الوطن المفدى ... وأصبح منه فى حرم حرام

نأت عنه عداه واستقلت ... بلادك بعد يأس وانهزام

---

(١) قديم.

(٢) هو خرستوف كولمبو مكتشف أمريكا سنة ١٤٩٢ ميلادية وهو إيطالى المولد دخل في خدمة الحكومة الإسبانية في هذه السنة وسار إلى أمريكا فتم له اكتشافها. (٣) رؤوس

(٤) هو محرر أمريكا ومخلصها من يد الإنجليز واحد موجودي جمهورية الولايات المتحدة وأول رئيس لها تولى الرآسة من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٧٩٧ وولد سنة ١٧٣٢ ومات سنة ١٧٩٩ وهو الذى علم أكثر الشبان المنضمين إليه في محاربة الإنجليز طرق القتال والدفاع حتى انتصر على أعداء بلاده وقهرهم.

(٥) حد السيف.

(٦) هو تومس جفرسن ثالث رؤساء الولايات المتحدة ولد سنة ١٧٤٣ وتوفي سنة ١٨٢٦ وقد كان من خير الرؤساء وأشدهم غيرة على البلاد وعملا على حريتها واستقلالها وهو من الذين انشئوا الحزب الجمهورى وتولى رياسته زمنا.

وأصبح مجدها مجداً طريفا[1] يطاول مجد مصر والشآم

* * *

أراك وقد جهلت فليت شعري أباغى الحرب أنت أم السلام؟

تهب فترسل البهتان فينا وترمينا بطائشة السهام

فهل أعداك طبع الوحش حتى عبست وأنت فى دار ابتسام[2]

خطبت ولقبوا من غير علم فكانت رمية من غير رام

لعمرك إن كوكا منك أولى بألقاب الدكاترة الفخام[3]

نراهم كذبوه ولا نراه روى ما قال عن حزب الخصام

ولكنا نراك وأنت تلقى علينا ما رويت عن الطغام[4]

كلا الرجلين مختلق ولكن أري روزفلت أخلق بالملام

فلا تنقم علينا بعد هذا وأكبر ما نروم من المرامى

ودونك من بنات الشعر بيتا رواه النيل عن رب الكلام

خطبت فكنت خطباً لا خطيباً أضيف إلى مصائبنا الجسام[5]

---

(١) جديدا.

(٢) لأن روزفلت جعل رحلته هذه مجزرة للوحوش حتى لقبوه بانه « جزار أفريقية ».

(٣) هو الدكتور كوك الأمريكى الذى ادعى فى هذا العام أنه اكتشف القطب الشمالي فضج العالم بذكره وقابلته الأمم التى مر بها في عودته إلى امريكا بالترحاب والاجلال ولكنه ما لبث ان ظهر كذبه للعالمين فلقى من الاحتقار والاهانة ما لقي وطرد من الأندية والمجامع العلمية واصبح أضحوكة الناس وسخريتهم ولكنه على كل حال خير من روزفلت الذى أصبح فى مصر دكتورا بما رواه لنا من المطاعن والمثالب التي رمانا بها صنائع الإنجليز من أبناء البلاد وأعد ثها الخائنين وأوحوا إليها بها فحكاها كما هى.

(٤) الأوغاد الادنياء.

(٥) هذا البيت لشوقى بك شاعر الأمير.

إلى خطيب جلدهول[1]

ماذا تحاول ياروزفلت من خطب | ترمي بها مصر عن حقد وعن غضب
إن الكنانة قد أصمتك[2] أسهمها | فكيف تدفع سهما ريش[3] بالعطب؟
عرضت نفسك للغارات مدرعاً | في موقف الحق بالبهتان والكذب
وقمت في جلدهول معجبا ثملا | فكنت في كل معنى موضع العجب
هم يهزءون بما تهذى بحسبهمو | أن الرئيس تحامى خطة الأدب
وقال ما قال عن حمق وعن حنق | ورام مصر عروس الشرق بالحرب

* * *

يأيها الواغل العادى على بلد | لو أنصفتك رماك النيل بالحرب
أقبل إلينا فأن الشعب مضطرم | وجدا عليك فلا تدبر ولا تهب
هذى يد لو رآك اليوم صاحبها | لصافحت نارها مستودع الخُطب[4]

---

(١) جلدهول اسم دار بلدية لندره وقد كان لروزفلت فيها موقف يوم ٣١ مايو سنة ١٩١٠ انتقم فيه لنفسه من مصر وطعن فيها ما شاء وشاءت سياسة الاستعمار ولكن جرائد الأحرار في إنجلترا وفرنسا وأمريكا وغيرها أزرت به واستهجنت عمله وتفنيه في الإعلان عن نفسه طلبا للشهرة الكاذبة وقضاء لمآربه الشخصية من مستعمري الإنجليز.

(٢) أصماه السهم أصابه فقتله.

(٣) ريش السهم ألصق عليه الريش.

(٤) مستودع الخطب هو رأس الخطيب.

نهضتنا النيابية
بعد رفض مشروع القناة

ماذا يقولون عنا بعد ما شهدوا — من نهضة النيل ما يغنى عن الخبر
وأبصروا الشعب يسرى لا يروعه — فى ظلمة الليل إلا طلعة القمر
إن الحوادث فى القطرين منذرة — لو يعلمون بما فى النيل من عبر
كم حادث مر فى السودان يتبعه — فى مصر حادثة مشهودة الأثر
لو أنصفوا غادروا مصرا وجارتها — وأطفأوا اللهب الجارى مع النهر

* * *

هل جاءهم نبأ النواب إذ رفضوا — مشروعهم بسديد الرأى والنظر
عبداللطيف[1] وإسماعيل[2] فى ملأ — من الكرام أداروا دفة القدر
وأصبح الشعب معتزا بنصرتهم — يتيه منتصراً فى إثر منتصر
أن ينكروا بعد هذا اليوم نهضتنا — ففى غد تلتقى الأعمال بالفكر



(١) هو عبداللطيف بك الصوفاني أحد نواب مديرية البحيرة في الجمعية العمومية فقد كان له بين النواب موقف كخير مواقف النواب الأحرار في الأمم الدستورية الراقية أعجبت به الأمة واثنت عليه ومجدته.
(٢) هو إسماعيل أباظة باشا النائب المدرب والخطيب المفوه في مجلس الشورى كما تقدم.

حديث الجناب العالى[1]

ماذا روته «الطان» هل ذاك الذى	أبداه عن مصـر أمـير النيل؟
كانت تسطر أمس قولا ناطقا	بهدى الأمير ووعده المأمول[2]
مالى أراها اليوم تحمل آية	ما كان أحوجها إلى التبديل؟
أنا على العهد القديم وإن تغيـ	ـر بالحديث وشف عن تحويل



(١) حادث المسيو جان رود مندوب جريدة « الطان » الباريسية سمو الخديوي قبل مقتل بطرس باشا غالى في شؤون البلاد ماليا وإداريا فابدى له سموه فيما أبداه أن جماعة المتسرعين « يعنى الوطنيين » الذين يحاربونه فى جرائدهم ويلحون ويلحفون في مطالبهم هم الذين يؤخرون زمن الإصلاح ويسيئون إلى البلاد وقد أثنى على المعتمد البريطانى السير غورست والدولة لمحتلة ثناء جزيلا وامتدح الوزارة ورئيسها السابق مدحا عظيما وأمل انقاذ مشروع القناة وموافقة الجمعية العمومية عليه لما فيه من فائدة البلاد، وقد ورد هذا الحديث بعد مدة قتل فيها الرئيس ورفض مشروع القناة وتغيرت حالة البلاد فنشرته جريدة « العلم » مترجماً يوم الاثنين ١٥ ربيع الثاني سنة ١٣٢٨ - ٢٥ ابريل سنة ١٩١٠ وردت عليه بما يستحق.

(٢) إشارة إلى حديث سمو الخديوي مع مندوب سابق من « الطان » نفسها في أواخر أيام كرومر بمصر زمن اشتداد سياسة الخلاف فانه كان حديثا كله أمل وتشجيع للوطنيين بل كان كوعد صريح باعطاء مصر الدستور بالرغم من العميد وأعوته أعداء الأمير، ولكن كل يوم هو فى شأن.

القوانين الجديدة[1]

إن القـوانين الجـديده	ليست كما زعموا رشيده
نار القلوب أشـد من	نيران شدتها المبيده[2]
والضغط لا يجدى سوى	إظهار ما تخفى العقيده
فليحذروا وجد النفو	س ليأمنوا شر المكيده[3]



(١) أوحى الاحتلال بعد الحوادث الأخيرة بقوانين جديدة إلى الوزارة يريد بها معاملة الأمة بالشدة والصرامة وعقوبة الطلبة حينما يشتركون في المظاهرات الوطنية، ومحاكمة الصحافة على جنحها أمام محكمة الجنايات، وقد عرضت «رسمياً» هذه القوانين على مجلس الشورى فأبدى رأيه فيها وأدخل عليها التعديل النافع الذى امتدحه ناظر الحقانية «سعد باشا» ووعد باحلاله محل الاعتبار ولكنا مالبثنا أن رأينا تلك القوانين صدرت كما هي ونشرتها الوقائع المصرية يوم الاثنين ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ — ٢٠ يونيه سنة ١٩١٠ وسيعمل بها بعد ١٥ يوما من هذا النشر أرادت الأمة أو لم ترد رضى الشعب أو غضب، ومن المصائب أن الحكومة أخذت فى هذه الأيام تصادر المظاهرات وتحارب الاجتماعات وتهاجم دور التمثيل وتحرم الخطب وتنشر الجواسيس الجهلاء وتعيد لمصر عهد الآستانة في أيام الاستبداد ولا تحسب للعاقبة حسابها.

(٢) المهلكة.

(٣) لا ريب أن هذه الأعمال الظالمة إنما هي مكيدة مدبرة يريد الإنجليز بلها بلوغ أربهم من مصر، وما هم ببالغيه، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

النشيد الوطنى[٤]

نحن للمجد نسير ولنا الله نصير
ليس يثنينا نذير عن بلاد تستجير
وعباد فى حداد

كيف نرضى بالممات وزمان الموت فات
إنما الدستور آت فعلينا بالثبات
عند آمال البلاد

نحن للمجد نسير الخ

نحن شعب لا نضام قبل أن نلقى الحمام
فعلى النيل السلام من فتاه المستهام
يوم يقضى فى الجهاد

(٤) لكل أمة من الأمم الراقية نشيد وطنى عام يرويه الصغير عن الكبير، ويحفظه العظيم والحقير، والغنى والفقير، وتشترك في ترتيله والتغني به عامة الشعب وخاصته على السواء وأظهر ما يكون من شأنه في أوقات المظاهرات وفي الحفلات والمواسم الوطنية ونحوها بل أنه ليبلغ من أمره أن يكون تأثيره في الفرد كما يكون في الجماعة فترى الوطني يذكره في خلوته كما يذكره بين عشيرته وأمته فيبعث فيه روح الحماسة والوطنية ويشجعه على اقتحام المصاعب ومقارعة الخطوب في سبيل الوطن العزيز كما يثبت الجنود في مواقف النصر، ويبث في نفوسهم حب المخاطرة والاقدام والاستهانة في الدفاع والنضال، ولقد تقدم في صدر هذا الكتاب كلام كثير في موضوع الأناشيد وما يتعلق بها، وإنني قياماً بحق الوطن علي قد نظمت هذا النشيد الدستوري السلمي، راجياً أن يكون لمصر ما لغيرها من الأمم في هذا السبيل وأن يكون نشيدي هذا النشيد الوطني العام، فقد وضعته من بحر سهل التلحين وقاربت بينه وبين أفهام الشعب على اختلاف طبقاته وأرحت وجداني بأداء هذا الواجب الوطني المقدس والله ولي التوفيق.

نحن للمجد نسير الخ

في هوى النيل السعيد ميت القوم شهيد
ذكره حي جديد يومه للشعب عيد

فيه ذكرى للرشاد

نحن للمجد نسير الخ

مرحبا بالفوز لاح وانجلى ليل الكفاح
وشدا طير الصباح أدرك الشعب الفلاح

وقضت مصر المراد

نحن للمجد نسير ولنا الله نصير
ليس يثنينا نذير عن بلاد تستجير

وعباد في حداد



متفرقات
فى هدى وضلال

آية السرور(١)

بشفاء سمو الأمير محمد عبدالمنعم ولى عهد الأريكة الخديوية

لتهنأ بلاد النيل وليسعد الملا ... فقد بلغت مصر الرجاء المؤملا
وها هو يوم البؤس بالبؤس قد مضى ... وهاهو يوم اليمن باليمن أقبلا
فمن شاء فليدرك أمانى نفسه ... فقد غمرت أرجاء مصر يد العلا
وهل بعد إبلال(٢) الأمير محمد ... ترى النفس تشكو علة أو تعللا
أمير له الأيام ألقت زمامها ... فأمسى من الأيام للناس موئلا
وما ضره أن بات وهو ابن تسعة ... وبات له الملك العزيز مذللا
لقد خلقت فى موطن الفضل نفسه ... فما وطنت إلا الفضائل منزلا
ومن يكن العباس أكرم والد ... له كان للإفضال أكرم منهملا
أولئك قوم مجد الله جدهم(٣) ... فما أنجبوا إلا الذى ساد واعتلى

---

(١) نشرت هذه القصيدة بجريدة «المؤيد» يوم الأحد ٢٥ شوال سنة ١٣٢٥ - ١ ديسمبر سنة ١٩٠٧ بمناسبة شفاء ولي العهد من مرض ألم به وكذلك نشرتها «الجوائب المصرية».

(٢) شفاء.

(٣) هو محمد علي الكبير رأس هذه الأسرة وأول وال لمصر منها.

كرام لهم فى مصر ملك مؤيد تهاب الليالى من تصرفه البلى
وإن لهم يأساً شديداً إذا بدا تكاد الرواسى منه أن تتنقلا
على أنهم إن أبصروا هول حادث أشاروا إليه بالبشاشة فانجلى
وإن ساءهم وجه من الدهر عابس تلقوه بالإحسان أو يتهللا
ملوك لهم فى كل قلب مكانة تحول الليالى وهى لن تتحولا

* * *

فيا ابن الألى سادوا البلاد وأهلها وشادوا لهم فوق السماكين معقلا
شفاؤك إحياء لآمال أمة ترى كل يوم فى حياتك مأملا
فعش بعد ذاك اليوم ما شئت لا ترى عليك سوى ثوب السعادة مسبلا
وفز بسلام الله بين عشيرة لها الله واق[1] أن نبا الدهر أو قلا[2]
ولا زلت معتّزاً بأفضل والد أفاضت يداه فى البلاد التفضلا
ولازال وادى النيل فى ظل عرشكم خصيبا فلا يشكو افتقارا ولا غلا
وعادت بكم مصر إلى عهدها الذى مضى فمضت بالفوز فى موقف الجلا
وإنى إليك اليوم أرفع آيتى وفيها ترى الإخلاص روحا ممثلا
ولست أرجى غير إبداء خاطر لنفس مناها منك أن تتقبلا



(١) حافظ.

(٢) ابغض.

آية العزاء[1]

هوى من سماء الفضل كوكبها الأسمى فلم تر عين بعده فى العلا نجما
أغار عليه الموت قبل زمانه فغادر منعاه بكل حشا سهما
وراح وأبقى فى النفوس عواطفا أقامت له فى كل ذاكرة رسما
ولولا الهدى ما قلت مات وإنما نأى كرما عن عالم ألف اللؤما
رأى عالم الأرواح أولى بنفسه فجاد بها طوعا ورام لها النعمى
ومن كان ذا نفس بعيد مرامها فإنى أرى هذا الوجود له ظلما
هناك هناء النفس فى خير عالم فلا هى تخشى فيه ظلما ولا هضما
ألا فليمت من كان نهما كعاصم وهيهات أن يلقى الردى مثله شهما
دهتنا الليالى بغتة بمصابه فنال الأسى من كل عاطفة قسما
وناحت بنو مصر عليه وإنه لهم كان غُنما كلما حسبوا غرما
بكته المعالى فى معاهدها وما بكت إذ بكت إلا الفضيلة والعلما
فمن ذا الذى يقضى إرادته إذا أراد ولا يخشى القضاء إذا حما
ومن ذا الذى يحيى الرجاء بأمة قضت حكم الأيام فى موتها حكما
ومن ذا الذى إن نازلتها ملمة أشارت إليه فانثنت حربها سلما
ومن الذى للبائسين يعولهم ويدفع عنهم بأسه الضيم والعدما
مضى ذلك الندب[2] لهمام ولم يدع لنا إذ مضى إلا الكآبة والسقما

---

(١) نشرت هذه القصيدة بالمؤيد يوم الخميس ٨ شوال سنة ١٣٢٥ - ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٧ بمناسبة وفاة المرحوم المبرور حسن باشا عاصم رئيس الجمعية الخيرية الإسلامية.

(٢) الخفيف فى الحاجة.

فإن نحن عشنا عاكفين على الأسى فلا لوم فالمحزون لا يعرف اللوما

وإن نحن أصبحنا ولسنا على هدى فلا عجب أنا فقدنا الهدى الجما

فقدنا عصامياً تعالى بنفسه فلا والد أولاه مجداً ولا أما

على أنه بالجد أحرز غاية من المجد تعنو[1] دونها الهمة العظمى

وخلد في الإصلاح آيات حكمة فمن رام إسعاد البلاد بها ائتما

وكان إلى الخيرات أول سابق إذا جد جهل الدهر عاد به حلما

وكم وصل الآمال بعد انقطاعها وواصل فى آثاره الحزم والعزما

ورد لنا عهد الإمام[2] الذى مضى فأنسى اليتامى من مكارمه اليتما

مناقب لا تبلى محامدها ولا يحيط به التأبين نثرا ولا نظما

وأني لأبكيها وأبكى فقيدها وما ظفرت عيني برؤيته يوما

ولكنني أبصرت فى مصر لوعة على فقده هاجت لواعجبها الهمما

فأمسيت أرثيه كما شاء خاطرى وفى النفس أشجان ترد الهنا غما

وأني لأرثى فيه مصر وأهلها وأندب منه الجدر والصدق والفهما

سقى الله رمساً ضمه فى عشية شآبيب رضوان وأمطره رحما[3]



(١) تخضع.

(٢) هو الأستاذ الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس هذه الجمعية.

(٣) الرحم بضم الراء وسكون الحاء وكذا بضمهما بمعنى الرحمة.

فتنة دمياط الدينية[1]

اصبر لخطب الدهر غير مضعضع   وإذا رماك بما يسوءك فاخضع
واترك عداك فأنهم أن يشمتوا   بك ساعة رجعوا بما لم ترجع
ما الدهر إلا ساعتان فهذه   يمن وتلك لبؤسه المتوقع
فإذا لقيت من الزمان وفاءه   يوما فلاق الغدر غير مروع
ما ضرني أني لجأت إلى حمى   هو ملجأ الأوطان يوم المفزع
إن كنت ادفع باليراع كريهة   فالآن ادفع باللظى والمدفع

---

(١) حدث في شهر مايو سنة ١٩٠٧ خلاف بين علماء الدين في ثغر دمياط أدى إلى فتنة دينية اشتعلت نارها بتداخل العوام فيها ورفع أمرها إلى مشيخة الأزهر وسمو الخديوي وكاد يستفحل خطبها بتحريض العلماء ذوى الأفكار العتيقة البالية الجهلة والسفلة على إيذاء مخالفيهم من المصلحين ومازال الجهل والحمق يقودان حزب الضلال حتى استدعت مشيخة الأزهر من دمياط العالم الذى جهر بالحق وشنع على صناديق منذور والتوسل بأرباب القبور ونفى قول القائلين بالخطوة للأولياء.. وانعقد مجلس الإدارة لمحاكمته فكان الحكم من عمل الشيطان وهو يقضي بمنع هذا العالم من التدريس وبقطع مرتبه وجرايته سنة كاملة يقدم شيخ علماء دمياط في آخرها شهادة للمشيخة بحسن سلوكه. وقد كنت إذ ذاك محرر الجريدة «الجوائب المصرية» فتتبعت هذه الفتنة الشعواء واخذت اكتب واستكتب غيرى من الكتاب منتصرين للحق محاربين الباطل فكان قولي ثقيلا على المبطلين فدبروا لى مكيدة تريحهم من سماع صوتى وتكون انتقاما منى وعقابا لي على حملتى التى شاركنى فيها كثيرون من مصلحى الأمة وفضلائها وأيدونى فى موقفى تأييداً عظيماً، اما هذه المكيدة فهي ادخالي الجيش بدعوى أنني عوفيت من القرعة العسكرية لطلب العلم ولم اقض المدة القانونية بعد المعافاة بدون اشتغالي بحرفة سواه، فقدموا إلى الحربية مطاعنهم وامطروا على إدارة القرعة رسائلهم واخذ التحقيق دوراً يعرفه من يعرف قانون القرعة واستبداد رجالها وغلظتهم فكانت النتيجة أني «سجنت» بقشلاق العباسية «القشلاق الاحمر» اثنى عشر يوما من ١٨ إلى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٧ تحت التحقيق ثم أطلق سراحي لأسباب قانونية بعد ان عرفت سوء الإقامة في الجيش المصرى وأسباب النفور والفرار من وجهة، وقد نظمت قصيدة طويلة فى مدة «السجن» هذه خلاصتها.

والمجــــد فى هذا وذلك مطلبى وأنا على والمعـــالى أربعى[1]
فليـعلم الخـصــمـاء أنى قـائم فى كل حـــال بالمقـــام الأرفـع
أصبحت «رب السيف والقلم» الذى هزم العمائم يوم أضحت لا تعى
فإذا حـملت بصارمى يوم الوغى غـادرت من لاقـيت غـيـر مـودع
وإذا كـتـبت فنعـمـة أو نقـمـة للعـالم المفـضـال أو للمـدعى
أنا لـم أجئ إلا بقـــول الله فى تشـريعـه والله خـيـر مــشـرع
فـإذا غـدا القـرآن مـهـجـوراً ولم تعبـأ بحـجـتـه الشـيـوخ وتقنع
وغـدا فـقـيـه الدين بين الناس لا يدرى ويحـــسب أنه ذا الألمعى
وتراه أن خـاطبـتـه مـسـتـرشـداً أو مــرشـدا أبدى جـواب تنطع
وإذا رأى من عـالم نور الهـدى لاقاه جهلا بالضلال الاسفع[2]
فـعلى بنى الأسـلام ألف تحـيـة إن كـــان هذا من بنيــه الركـع
مــا الرشــد إلا مــا رآه مـحــمـد ودعــا إليــه بالدليل الأسطع
إنى له تبـع على رغـم العــــدا وهمـو لسـبل الغى أغـوى تبع
وسـيـعلمون إذا اجتـمـعنا فى غـد من ذا يعـود بحـسـرة المتـفـجع
ياويل من عبدوا القبور وأشركوا بـالله بـين تـوسـل وتـضــــــرع
ورأوا من العلمــاء تأييــداً لهـم فمضوا وما فطنوا لغى مبدع[3]
ياقــوم إن أولئك العلمــاء قـد جعلوا الشريعة سلما للمطمع
فـــإذا أرادوا فـــالحــــلال ممنع أمــا المحـرم فـهـو غـيـر ممنع

(١) كلام اقتضاه مقام الجندية!
(٢) الأسود.
(٣) المبدع هو من ينسب إلى البدع.

القول قولهمو وفي رأيي إذا أن ... قدنا لهم عدنا بسوء المرجع
فهلم ننبذ رأيهم ونرى لنا ... رأيا تنزه عن فساد المنزع
ونشن غارتنا عليهم كلما ... شنوا علينا غارة المتجشع
حتى نردهمو إلى الإسلام أو ... نذر العمائم بالمقام الأشنع
وهناك يصبح دين أحمد خالصا ... لله لا للأولياء أربع[1]
ومعالم التوحيد تبدو بعدما ... طمست بشرك دعاته المتنوع
والله قد ضمن النجاح لنا فلا ... نلقى سوى النصر المبين المزمع
ياقوم إن هداتكم ضلوا فقو ... موا قومة في وجه من لم يُردع
وحذار أن تصغوا لقول معمم ... حسب الديانة في الرداء الأوسع
ومشى يدل على العباد كأنه ... ملك الرقاب بزيه المستبدع
والله يعلم أن في حركاته ... غشّاً تستر في ثياب تصنع
أسفي على دين النبي محمد ... أسف توقد جمره في أضلعي
من ذا يجيب دعاءه ودعاته ... لعبت بهم أهواؤهم في مرتع
يامعشر العلماء أصبح دينكم ... هدفا لسهم الناقد المتتبع
فإلى متى لا تعقلون وقد غدت ... أعمالكم أحدوثة المستفظع
إني نصحت لكم فلم ينفعكمو ... نصحي وذنبي أنه لم ينفع
وغدوت أرجو خيركم فرجوتمو ... ضيري بكل توسل وتذرع
وتآمرت جهلاء دمياط عليَّ ... نكاية وتشاوروا في مجمع

---

(١) الأولياء الأربع هم السيد احمد الرفاعى والسيد عبدالقادر الجيلاني والسيد احمد البدوي والسيد إبراهيم الدسوقى رضي الله عنهم، وهم الأربعة الأقطاب الذين يرجع إليهم امر الكون والتصرف فيه وكل ولى يستظل بلوائهم، كذلك قال الجهلاء.

واتتهمو علماؤهم يهدونهم سبل الهوى بتشجع وتطوع

ومشى أمامهمو إمام أيقنوا أن الهداية من خطاه بموضع

وتسابقوا نحوى بإيصال الأذى حتى تجافى من أذاهم مضجعى

راموا دخولي الجيش لما أبصروا ضربى وطعنى باليراع المشرع

فدخلته مستبسلا حينا وعد ت كما ذهبت بعزتى وترفعى

والآن لا أرجو سوى أن يعلموا إن الهدى كانت حقيقته معى

والله يغفر ما جنوه بجهلهم أو يقمع النفس التى لم تقمع

ياأهل دمياط الكريمة إننى منكم وقلبى بينكم فى مربع

فعلام بتم تقطعون حبالنا وحبالنا موصولة لم تقطع

إنى أمد يدى إليكم مهديا إخلاص قلب فى هواكم طيع

وأصافح النصراء والخصما ولا أنأى عن الأعدا وإن لم تهجع

فعليكمو منى السلام تحية ما لاح بدر قصيدتى فى مطلع



(١) قمعه واقمعه أى قهره وأذله.

مصرع الباغي علي أمته
الخائن لوطنه[1]

مـــا زال ســـهـــمك ينزع[2]	وحـــســـام بغـيك يفـــجع
خنت البـــــلاد وأهلهـــــا	وفــجــعت من يتــفــجع[3]
وهـجـــعـت عن وجــــد القلو	ب ووجـــدها لا يـهـــجع[4]
خـــــــــد ع ويلك لا تنم	فـــالدهر دونك يخـــدع
اليـــــوم تعلم مــــا جنيـ	ـت وليس علمك ينفع
وغـــدا ترى هول الحــســا	ب ولا ترى من يشــــفع
النار دار حـــــــــالدا	فـــيـــهـــا تهـــيم وترتع
وكـــذلك عـــقـبى الخـــائنيـ	ـن لهم جـــهنم مـــرجع
خـــــــد ع ويلك هل ترى	مـــاذا دهاك وتســـمع
صـــرعـــت غـــائلة الردى	«ولكل باغ مـــصـــرع»



---

١) يتخيل الشاعر ... المعاني والصور ويخاطب ما شاء من الأشياء ابتغاء العظة او الحكمة او الحث ... في فضيلة والتنفير ... أو غير ذلك من اغراض الخاطر ومرامي الخيال.

٢) أي يجذب لرمي ... المطمئنين.

٣) أي اوجعت من ...

٤) أي لا ينام.

بين اللحظ والخال

لــك ألحـــــــــاظ ســكــارى	أســقــمت وهى ســقــيــمــه
وبـورد الخــــــد خـــــــال	خلتــــه فــيـــه تميــمـــه
إن رمى الـنـظار ســـهـــمـــاً	نحــــوه صــــان أديمـــــه
أشــبـــهـت حـــبــة قلبى	فى مـــعـــانيـــه رقـــيـــمـــه
إنمـا أنــت غــــــــــرام	حل من قلبى صــمـــيـــمـــه
لـــيـــس لــلأيـــام عــنــدى	فى ســوى حــبـك قــيــمــه[1]



(١) كذلك تكون الحياة رخيصة والآمال صغيرة لدي بعض الشعراء بينما الوطن يشكو ويالم ولا يجد منهم ذاكراً ولا متوجعاً.

في مرقص

ميلى على العاشقين ميلى … بخصرك الأهيف النحيل

وصوبى نحوهم سهاماً … من لحظك الناعس الكحيل

واشعلى النار فى حشاهم … من خدك الأغيد الأسيل

واطفئى باللمى(1) لظاهم … فإن فيه شفا الغليل

فيك القلوب تهيم حبّاً … وما لحبك من بديل

وإننى فيك مستهام … ولست أخشى من العذول

ولا أهاب الردى إذا ما … صبا فؤادى إلى جميل(2)

فيا حياتى فدتك نفسى … فهل إلى الموت من سبيل(3)



(١) اللمي سمرة جميلة في الشفة.

(٢) شجاعة كاذبة وحياة هينة.

(٣) نعم إلي الموت خير سبيل في الوطنية.

الموت الكاذب[1]

تمنى أناس أن أمــوت صــبــابة ... وإنى من قــبل التــمنى لميت

ولكن آمــالاً تجــول بخــاطرى ... فتــحيي فؤادى حــينما يتــفتت

فيــا من أشــاع الموت عنى فــجأة ... لعــمــرك إنى نحــوه مــتلفت

ولو كان نحبى فى يدى لقضيته ... وغادرت عيشاً فيه أمرى مشتت

ولكن ممات المرء مــثل حــيــاته ... إلى الله يمــحو مــا يشــاء ويثبت



(١) نعاني «اللواء» الصادر يوم ١٠ فبراير سنة ١٣٠٧ بينما كنت حياً أرزق بدمياط فبادرت إلي تكذيب الناعي بهذه الأبيات.

الموت المبتسم

أرى ابتساماً أم احتشاما[1] يغشى محياك أم حماما[2]
بسمت للموت فى لقاه ورمت عند اللقا التزاما[3]
وجه الردى عابس ولكن لديك يبتسم ابتساما
يا عاشق النيل هل تراه عليك يضطرم اضطراما؟
قضيت ما رامه هواه ونلت عند القضا المراما
فاهنأ فإنى أراك حيّاً لك القلوب اغتدت[4] مقاما

إلى هنا انتهى فى تحرير الجزء لأول من «وطنيتى» يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٨ ـ ٢٤ يونية سنة ١٩١٠ والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وحسبى الله ونعم الوكيل.

(١) حياء.

(٢) موتاً.

(٣) اعتناقاً.

(٤) أصبحت

هجرتي

ملحق من إعداد كاتب الدراسة ويشتمل على بعض القصائد التى قالها الشاعر أثناء هجرته ورتبناها حسب تواريخ الأحداث.

أ.ح.ط

الوطن ١٠ من يناير ١٩١٢

قالت جريدة الوطن:

إثباتاً لأن ذلك الغاياتى كان فعلا من اليائسين البائسين عولنا على إثبات أبيات له، بعث بها إليا، ونشرناها له منذ بضع سنوات، عندما كان فى دمياط، وطلب للقرعة العسكرية وهى تدل على منتهى البؤس.

وسننشرها منقولة بالزنكغراف ليقف القراء على خط ذلك الشاب الذى لعب عدة أدوار فى الصحافة المصرية.

وفى العدد التالى نشرت بالزنكغراف القصيدة الآتية

إلى الله

حرية الشكوى بين العبد وربه

خلقت العبد وأرزاقهم	فمنهم سعيد ومنهم شقى
وقد ساء حالى بين الورى	كأنى يا رب لم أخلق
فأن أك عبداً فمن رازقى	وها أنا للآن لم أرزق

* * *

لئن ضقت ذرعا فعفوا إذا	نطقت فضل الهوى منطقى
فإنك يارب أنت الذى	قسوت علىَّ ولم ترفق
أراك غنيا ولكننى	إذا رمت جدواك لم تنفق
ولو شئت خيرا لأنقذتنى	من الضير والعدم المحدق

ولكن.. وألهيتني ... من العيش بالأمل المخفق[1]

وشكواى منك إليك وما ... لعبدك غيرك من معتق

عبدالله الشاكى

ع.غ

(١) كلمة مطموسة، وهذه القصيدة قالها قبل فراره من مصر.

منبر الشرق ١١/٧/١٩٥٢

و٨/٨/١٩٥٢

هجرتى بعد وطنيتى

عندما وصل إلى الاستانة قال من قصيدة طويلة عنوانها «هجرتى بعد وطنيتى».

وعند فراق الثغر أسبلت دمعة ورب فراق أنكرته المدامع[1]

لئن كان غيرى قد عصته دموعه فإن عصى الدمع عندى طائع

ولما قابل محمد فريد بك فى قهوة توقتليان، وكان ينظم في هذه القصيدة فقال فى ختامها ذاكرا عبدالعزيز جاويش ومحمد فريد:

ولست أرى سجن الكرام مهانة ولكنه للمجد والحمد جامع

فإن سجنوا عبدالعزيز فإنه له بين حبات القلوب مرابع

فمالهمو والغيظ يفرى قلوبهم جنيت فراموه بما أنا واضع

وراموا فريدا مثله وترقبوا لقاه وفى هذا اللقاء مصارع

إذا كنتُ بالتأليف ُصبحت جانيا وسجنى عاما فيه للحر قامع

فما كان تقريظ الكتاب جناية ولكن أعداء البلاد تخادع

لقد حسبوها فرصة فتربصوا عسى أن تروع الشعب تلك الزعازع

وما الشعب إلا صرم جاد صقله وكل سيجنى منه ما هو زارع

فلا بقيت فى جانب النيل أمة إذا بقيت فى النيل تلك الفواجع

يقول الغاياتى «وقد نشرت هذه القصيدة العربية التى تبلغ ٨١ بيتا فى مجلة «صراط مستقيم» التركية التى كانت تصدر حين ذاك بدار السعادة».

(١) الثغر، هو ثغر الإسكندرية.

منبر الشرق

١٩٥٢/٧/٢٥

دعوة للقوة

نشر فى صحيفة دار الخلافة بالعدد الصادر فى ٩ رمضان ١٣٢٨هـ[١] قصيدة مطلعها :

دار السعادة هل أتاك مخبر ... يشكو لديك شقاء مصر وينشر

النيل من حمر المدامع فائض ... والوجد فى أحشائه يتسعر

ومنها :

ياأهل مصر قفوا وصيحوا صيحة ... دوى لها جو البلاد الأغبر

واقضوا بحد السيف حقا ناله ... من مصر ذاك الطامع المستعمر

إن امتشاق السيف أبلغ حجة ... من صولة القلم الضعيف وأقدر

والشعب ليس بمدرك آماله ... ما لم يصل ذاك الحسام الأحمر

إن الدماء إذا غلت أسعارها ... فى أمة هبط البلاء الأكبر

وختامها :

دار السعادة أنت دار رجائنا ... وقلوبنا فى روض حبك تزهر

دار السعادة طال ليل شقائنا ... فمتى نرى فجر الهناء ونبصر

إنا كرهنا العيش فى أوطاننا ... ومضى بنا وجد إليك مسير

للنيل فى البسفور أكبر مأمل ... والله بين الجاريين ميسر

(١) يوافق ١٢/٩/١٩١٠ وعنوان القصيدة من اجتهادى، وهذا الشعر هو كل ما نشر فى منبر الشرق من هذه القصيدة.

الوطن ١٠/١/١٩١٢

عيد الكنانة عيد الأمير

نشرت جريدة الوطن خطاب على الغاياتى لها، وجاء فيه:

« .. أقدم إليكم قصيدتي فى عيد الجلوس الخديوي، وقد ضمنتها ما اقتضاه المقام من إشارات تدور حول حوادث وطنيتي وغيرها، وإن لدى من الدلائل المؤيدة لها، والرسائل المتعلقة بها، ما يقطع ألسنة السفهاء، ويسجل الخزي والعار عليهم، وسأدع نشر ذلك لفرصة أخرى، والله يعلم أني لا أحاول بذلك الانتقام لنفسى منهم، ولا إرضاء شهوتي الشخصية لأمر ما، ولكن ثمانية عشر شهرا قضيتها بعيدا عن سوء تأثيرهم، منها ثلاثة عشر شهرا فى وسط أوربي راق، جعلتني أشعر بما كان مني من خطل دفعونى إليه، وخطأ حرضوني عليه، فنبذتهم ظهريا بعد مفاوضات أشرت في القصيدة إليها، ولم أبال بما يكيدون لى، ويتقولون علىّ، وهم الذين كان من أكبر همهم بث كراهة الجناب العالى في نفسى، وتحريضى على هجائه، والإساءة إلى سموه حفظه الله، حتى كان لسوء حظي شيء من ذلك في مصر وغيرها، أولئك هم النفر الذين فرقوا عناصر الأمة، وذهبوا بربيع الاتحاد من

(١) يشير على الغاياتى إلى ان فريد بك والشيخ جاويش ليسا من أصول مصرية، او انهما من الدخلاء على مصر، وفريد بك جاء أجداده إلى مصر فى اوائل الفتح العثمانى كما يقول عبدالرحمن الرافعي فى كتابه عن محمد فريد، وجاويش قدم جده إلى مصر من جنوب تونس، كما يقول أنور الجندى فى كتابه عنه، ومقولة الغاياتى لا قيمة لها لأن ابناء الدولة الإسلامية « سواء أكانت اموية أم عباسية أم عثمانية » كانوا يتنقلون فى أرجائها وفقا لرغباتهم ومعاشهم، والعالم كله تختلط فيه الأجناس، ونسي الغاياتى وهو يخاطب الخديوي بهذا فى قصيدته ورسالته أنه، أى الخديو، من أصل مقدونى أو تركى، أى دخيل على مصر، وكأنه يوجه له إهانة دون ان يدري، وقد صار محمد فريد وجاويش وغيرهما مصريين لطول الاقامة ويدافعون عنها.

بنيهـا، أولئك هم شـر البـلاد، وويلهـا الأكـبر، وهـم الـواغلون[1] «الدخـلاء» بين بنيها، وقد انتهزت فرصة هذا العيد الكريم، ونظمت هـذه القصـيدة لتكون بمثابة الإقرار بالخطأ بعد الوقوع فيه، ولعل ذلك فضيلة يحمد صاحبها والسلام.

جنيف فى ٣٠ ديسمبر ١٩١١

المخلص على الغاياتى

عيد الكنانة عيد الأمير

مولاى عيدك للكنانة عيد | يحلو به للصادح التغريد
قد هزنى بعد الجعاء غرامه | فطفقت أبدى حبه وأعيد
ماذا اعتذارى بعدما حكم القضاء | وأقرأنى قد جنيت شهود
والذنب كل الذنب ليس على فتى | ألقته بين المجرمين جدود
الشيخ يغضب إن حباك ثناءه | وعليه يثنى إن هجاك «فريد»
ما سار إلا فى سبيل هواهما | هذا يسايره وذاك يقود
ضل السبيل وكان يحسب أنه | فى نهجه رغم الضلال رشيد
فتنته مصر بحبها نمضى على | حكم الغرام وأنه لشديد
الحزب يدعو والهوى يسرى به | وحجاه بين مضلليه شريد
حتى إذا القانون رام قصاصه | قالوا ارتحل عنا وسوف تعود
قم لا تقم فى مصر واعص قضاءها | إنا وإن لم تبغ ذاك نريد
هذى مشيئتنا فهاجر - يالها | من هجرة لك بعدها التمجيد
فمضى إلى «دار السعادة» مكرها | والشيخ يقسم إنه لسعيد
أما العهود فكان يخطى عدها | فرحا وهل للكاذبين عهود
حتى إذا حان الوفاء تقشعت | سحب الوعود وملؤهن وعود
صاحوا وما شيمى سوى بوق به | نفخوا فأصغى أحمق وبليد[1]

---

(١) شيمى هو إسماعيل شيمى المحامي.. من كبار الحزب الوطني توفي عام ١٩١٢ .

قالوا «المؤيد» نالهم بدسيسة — من أجلها للسجن ظلما قيدوا
ورموا فتاهم بالخيانة علهم — ينجون إن نكروه وهو بعيد
لو صح ما جاءوا به فرئيسهم — في الخائنين بحكمهم معدود
وكذا وكيل الحزب لطفى إنه — شر الكتاب برأيه معقود[1]
ما كان لى نشر الذى أنشأته — فى «دنجرا» لولاه وهو شهيد
أفتى به وأقره قانونه — وهو «المحامى» الأشهر المشهود
فبدا على وجه «اللواء» ومثله — فى رأى «لطفى» والرئيس سديد
وهما ومثلهما بمصر قادة — شيطانهم فى حربهم معبود
الله يعلم والمؤيد أننى — ما كنت عما ينهجون أحيد
هذى صحائفى التى سطرتها — بعد الرحيل وأمرها معهود
هل كان غيرهمو بها متهللا — لينالهم من نشرها تحميد
«دار الخلافة والصراط» وغيره — زعمت بأنهم الكرام الصيد[2]
ضمنتها «وطنيتى» وأتيت ما — يربو على زلاتها ويزيد
وأقمت فى «دار السعادة» أشهرا — خمسا طوالا ما بهن سعود[3]
وهناك لاقيت الرئيس فسره — أنى لمولاه الأمير أكيد
ثم ارتحلت إلى جنيف وليس لى — فى غير تحصيل العلا مجهود

(١) احمد بك لطفى المحامى من كبار رجال الحزب الوطنى، وهو احد الذين ترافعوا امام المحكمة فى قضية إبراهم الوردانى.

(٢) دار الخلافة جريدة وصراط مستقيم مجلة تصدران في تركيا، وقد مكنتا الغاياتى من الكتابة، وهاهو يهاجمهما.

(٣) دار السعادة من أسماء الأستانة او اسطنبول

وأمـدنـى قـوم لـهم فـيـهـم يد ... امـــداد ذى شح نداه وعـــود
ودعــا إلى باريس داع قــائلا ... «باريس» بأس إن أجبت وجـود
أقدم فنحن جماعة قد أجمعوا ... أمـرا ونحن كـمـا علمت جنود
لك عندنا إمــا أتيت مكانة ... تسـمـو وحب دائم و«نقـود»
ما العلم تطلبه بجد مثلما ... تجديك نار أضرمت وحديد
لا ترتجى مصر من العلماء ما ... يغنى غداة كريهة ويفيد
فدع العلوم وسر على ما اختطه ... حزب بحالية الحسام يذود
جاهد بجانب قادة لك بينهم ... عيش وإن طال الزمان رغيد
انا عـهـدنا في يراعك يقظة ... وبمصـر من جبن الرجال رقـود
فاشرعه معتضدا بـا فالنيل من ... هذا الرقـود قد اعتراه رقـود
وإذا أبيت فما لنا بك حاجة ... فالسيف وهو لدى الوغى مغمود
فأبيت بعد مفاوضات بين با ... باريس وبرلين لهـا ترديد

* * *

قالوا اشترى قلمي الأمير وأرسلوا ... نحوى سهاما فاتها التسديد
وأتت رسائلهم إلىّ وحشوها ... كذب وجهل فاضح ووعيد
ما كنت أول من عليه تقولوا ... لى كل يوم فى الأباة نديد
لم أنس أنى كنت بينهمو ولى ... قلم إلى طعن الكرام مقود
ولو استقر بى المقام لديهمو ... ما كان لى عما ألفت حيود
أبصرت بعد فراقهم أن البلا ... د تكاد مما يجرمون تميد

فحمدت أيام الفراق وإن ذكا ... في القلب من آلامهن وقود
ولفظتهم لفظ النواة وإن غدا ... لي منهمو بعد الوداد صدود

* * *

حسبي كفاكم ما مضى ياقوم من ... رزء به ظهري الضعيف مؤود
اليوم أعلم أن ما مضىَ انقضى ... وعليه من نسج الشقاء برود
فليغد حالكه لحالي عبرة ... عبر الحياة بها الحياة تجود
إني فدا النيل لو أن الذى ... تبغون بالحسنى عليه يعود
لا يسعد البلد الشقي سوى فتى ... بالعلم يرفع مجده ويشيد
النيل حاجته إلى أهل الحجا ... وحجاكمو لو تسمعون فديد
إن الحوادث أنبأتني أنكم ... وإن اعتزيتم للرجال قرود
ترجون تحرير البلاد وانتمو ... حرب على الإصلاح وهو وليد
إن هب دونكمو بصدق عامل ... قلتم عدو للبلاد لدود
تبغون ألقاب الرجال ومالكم ... عمل كأعمال الرجال مجيد
لستم بني مصر ولكن عصبة ... بوجوهكم أيام مصر سود
دخلاء لكن تزعمون بأنكم ... في مصر آباء لها وجدود
النيل كان «بمصطفى» في غبطة ... فمضى وأنتم في السبيل قعود[1]
ويحي على أسد تضمنه الثرى ... فإذا ذئاب بعده وفهود
زعموا بأنهم الرجال وغرهم ... ما صاح أطفال وصفق غيد

---

(١) مصطفى هو مصطفى كامل.

حتى استباحوا هتك حرمة «مصطفى» وهجوه لما بات وهو فقيد

لو كان فيهم للوفاء سجية ما كان هذا الطعن والتنديد

هل مصطفى إلا فتى كرم غدا للنيل بالنفس الأخير يجود

هو خالد فينا بفكرته التى تحيا ويردى شانئ وحسود

ولقد أجل مكانه خصماؤه وبكاه قبط بيننا ويهود

كنا بحكمته الكبيرة إخوة بعض لبعض ناصر وودود

إخلاصه فى العاملين وصدقه فى القائلين ونهجه المحمود

أولى بمجموع الثناء وإن أبى عبدالعزيز وأحمد وفريد

عوذت بالعيد العزيز وربه مصروإن أزرى على حقود

عيد سناه غائب عن ناظرى وله بمكنون الفؤاد شهود

«عباسه» ابتسم الزمان بوجهه والنيل طاب به عليه ورود

كم ساء جد النيل لولا أنه قد عاد وهو بيمنه مجدود

فرع زكا وأصوله كرمت فجدّ قد سما وأب سرا وحفيد

لو لم يقم بالنيل من كفروا به ما كان للمحتل فيه وجود

كفرانهم جلب البلاء على البلا د فأوشكت لولا الأمير تبيد

بادوا ولكن فى البلاد عصابة هى بعدهم أولى بها التصفيد

هى حجة المحتل وهى له يد وبقاؤها لبقائه توطيد

تجنى وتزعم أنها تدعو إلى نهج قتيل الجهل فيه شهيد

هل يؤخذ الشعب البرىء إذا جنى   وهى التى تستاقه وتقود ؟
هى تسعة أو عشرة لكنها   عدد بجهل الجاهلين عديد
تبغى الأمير بكيدها لكنه   سهم إليها بالردى مردود

* * *

الله حسبك أيها المولى الذى   تعتز مصر بملكه وتسود
أعيادك الفيحاء غر مواسم   تتجدد الآمال حين تعود
ويداك بالآلاء فائضة فكم   ينمو بها فرع ويورق عود
النيل فى شوق إلى دستوره   فمتى يكون له به تعييد
أنى لأرجو أن يكون لعهده   بيمينك الفياضة التجديد
وأراك ترجو ما رجوت وإنما   تقضى السياسة دوننا وتريد
فعساك تبلغ ما تؤمل من منى   يغدو لعرشك بينهن خلود

على الغاياتى

الطالب بقسم العلوم الاجتماعية بجامعة جنيف

منبر الشرق ١٢/٩/١٩٥٢

رثاء إمام العبد[1]

علم الغاياتى وهو فى المهجر بوفاة إمام العبد، وكان قد بلغه إن إماما قد اغتابه، وافترى عليه بعد فراره، ومع ذلك رأى أن يرثيه بقصيدة ولكنه لم يتمها، وهذا ما نشره منها.

أرثى إمــــامـــــا وأعــــفـــو عن اســــاءته

وأندب البــــؤس فــــيـــــه ندب مـــبـــتـــئس

مـــا كـــدت ألمح فى ليـــلائه غـــســـقـــا

حـــــتى رأيت نذير الفـــجـــر فى الغلس

يا أســــود الناس وجـــهـــا بين أظهـــرنا

قـــــد كنت فى شـــفـــة العليـــاء كـــاللعس[2]

تركت بيض المعـــانى وهى بـاكـــيـــة

لم يبق فـــيـــهـــا وجـــيـــب النفس من نفس

(١) اللعس: سواد مستحسن فى الشفة.

(٢) وإمام العبد: من الشعراء البائسين، وسمي بالعبد لسواد وجهه، وكان يقول:

وسوداء كالليل البهيم عشقتها لأجمع بين الحظ واللون فى عيني

إذا ضمنا ليل تبسم ثغرها فلولا سناه بت فى جنح ليلين

وكان زجالا، وصديقا لحافظ إبراهيم، وهناك نوادر كثيرة بينهما وتوفي عام ١٩١١

منبر الشرق ٩ / ١ / ١٩٥٣

رثاء الشيخ على يوسف[١]

اليـــوم بات «على» فى الثـــرى ومـــضى
ناعـــيـــه فى مـــصـــر ينعى للورى مـــصـــرا

فـــهـل ســـبـــيـل إلى در فـــأنظمـــه
فى خـــيـــر من نظمت أقـــلامـــه الدّرا ؟

أم هل ســـبـــيـل إلى دمع فـــأنثـــره
فـــرب دمع جـــرى منثـــوره شـــعـــرا ؟

ويح القـــريض عـــصـــا والدمع طاوعـــه
فلست أملك لا نظمـــا ولا نثـــرا

جل المصـــاب فـضل الفكر واســتـــعـــرت
نار الحـشـا فـاسـتـحـالت أدمعى جـمـرا

فكيف أرثى فـقـيـدا، ليل مـصـر غـدا
لما توارى سـنـاه يـنـدب البـــــدرا

وطال ســـهـــد الحـــمى من بعـــد رقـــدته
وســـوف يمـــسى طويلا ينشد الفـــجـــرا

---

(١) توفى الشيخ على يوسف فى ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩١٣.

ويل لمصر وأهليها فما تركت

بها المنايا فتى يبقى لها ذخرا

ما كاد يزهر غصن بين روضتها

إلا وقد هصرته كفها هصرا

راح «الإمام» وولى «مصطفى» ومضى

إلى سبيلهما جمع بها برا(١)

وكان بعدهمو للنيل تعزية

لو دام فيه «على» يجبر الكسرا

فما العزاء وقد ولىَّ على عجل

واستقبل القبر لما استدير القصرا

وأصبح الترب ممساه ومصبحه

وكم أرى الترب حراً واحتوى سرا

والناس من سوقة فيهم ومن ملك

فيه مقيمون بعد الصدمة الكبرى

ولست أدرى ولا يدرى أمرؤ خبرا

عمن مضى من بنى الدنيا إلى الأخرى

ويل الحياة وويل الموت إنهما

على السواء بلاء للورى طرا

---

(١) الإمام هو الإمام محمد عبده، ومصطفى هو مصطفى كامل.

فلست أحسب عيشا لم يشبه أذى

ولست أحسب موتا لم يكن قهرا

والمرء محتضر من يوم مولده

يجود بالنفس حتى يسكن القبرا

وما الحياة حياة فى حقيقتها

لكنها الموت غر المرء فاغترا

فما الوجود ومعناه وغايته

إن كان فى المبتدا والمنتهى صفرا

وما عزاء بنى الدنيا وحظهمو

من الحياة عليهم بالردى كرّا

قالوا عزاؤهمو أن الجميع إلى

هذا الفنا، فلا ظلما ولا جورا

فليت شعرى أفيما قيل تعزية

غير الرضا بقضا من دبر الأمرا؟

سبحانه قد رضينا ما يقدره

وإن إبينا جرى مقداره قسرا

قضى على النيل أن تجرى مدامعه

يوم الأسى فجرت مثل الدما حمرا

وغــــادر الـوجـــد أهـليـــه وجـــيـــرتـه
يـبـكـون من ســـوف تبـكـيــه الـعـــلا دهـرا
والمسلمــون أقــامــوا فى مــســاجــدهم
راثـيـن يـتـلـون فـى تـأبـيـنـه ذكـــــرا
ومـن يـكـن كــــعـلـى فـى مـكـانـتـــه
وكـــان تـاريخـــه فى قـــومـــه فـــخـــرا
وكــــان ذا أثـر مـــــثـل «المـؤيـد» فـى
مـــصـــر هـداهـا وكـــانـت قـــبـلـه حـــيـرى
وكـــان لـلـديـن والـدنـيـــا إذا نـزلـت
بـنـا الخطـوب حـســامـا حـالـف الـنـصـرا
بـكـيـــــتـــه، وبـكـاه كـل ذى أدب
فـــمـــثـلـه ببـكـا أمـــثـــالـنـا أحـــرى



منبر الشرق في ١٩/٩/١٩٥٢

جنيف[١]

يحق لأمــــة هـذى عــــلاها	بـأن تـرقى إلـى هام الثـــــريا
وأن يســعى إليــهـا بالتــهـانى	وأن تهــدى الثناء وأن تُحَــيَّـا
وأن تزهى بمجــديهـا وتبــقى	مــدى الأيام باســمـة المحــيا



(١) احتفلت جنيف عام ١٩١٤ بالعيد المئوي لانضمامها إلى الولايات السويسرة، وفي هذه المناسبة نظم الشاعر هذه الأبيات يوم ٥/٧/١٩١٤، التى ابدى إعجابه فيها بجنيف، وارسلها إلى رئيس حكومة جنيف إذ ذاك هنرى فازى، فشكره عليها.

منبر الشرق ٢٨/ ١١/ ١٩٥٢

الوحدة الوطنية[١]

أتشـقى بيننا مـصـر ... ولا يرثى لهـا حـر؟

ونحن بنو الألى قـهـرو ... الورى وعـداهم القـهـر

عـتـا العـاتى لدولتـهـم ... ودان البـر والبـحـر

ودار الـدهـر دورتـه ... فـولى ذلك النصـر

وأمـسـينا ولا خـمـر ... وأصـبـحنا ولا أمـر

سـوانا رب منزلـة ... ورب ديارنا الغـيـر

* * *

سـئمنا العـيش فى أرض ... سـمـاها مثلهـا قـفـر

إذا مـا النيل فـاض بهـ ... أضـر بفـيـضـه الجـور

بهـا طالت ليـاليـنـ ... ولا نجم ولا فـجـر

وبتنا نشـتـكى دهر ... وعـندى أننا الـدهـر

نـلوم الأجـنبى عـلـى ... أذى فـيـه له عـذر

ولو كنا كـمـا سلفـو ... نبـر بمصـر مـا بروا

لكنا مـثلهم أسـد ... نكر بهـا كـمـا كـروا

(١) هذه القصيدة نشرتها الأهرام فى ٨/ ٤/ ١٩١٤ ومعها كلمة يدعو فيها الغاياتى إلى الوحدة الوطنية، وضم الأحزاب، في حزب وقد ٦نقلت القصيدة عن منبر الشرق.

يهاب الدهر سطوتنا ويعرو غيرنا الذعر
فقد بلغوا بوحدتهم مكانا دونه البدر
وأولتهم معارفهم علا تبقى وإن مروا
ولكن بعدهم حلت عرى فعرى الحمى شر
وقام الجهل يأمرنا وغاية أمره خسر
نسينا خير وحدتنا وما فى دونها خير
وخلنا الدين عن خطأ يفرقنا ولا وزر
وما التوراة تفرقه ولا الإنجيل والذكر
ومصر قبلها وطن لنا طرا به فخر
وما الأحزاب مسعدة ولا زعماؤها الكثر
إذا ما طاب للباغى بمصر الكر والفر
وأصبح بين ظهرينا له من دوننا الصدر
وقد فاضت دسائسه فلا يدرى لها غور
يمنينا ويلهينا ويغرينا فنغتر
وليس لنا إذا ما لم يشأ سر ولا جهر
ولا أمر ولا نهى ولا طيّ ولا نشر
حظوظ الناس فى يده ومنه الحلو والمر
له فى أرضنا حول وبطش زاده الكبر

إذا ما صال صائله ... بدا العدوان والغدر
فلا الدستور فى أمن ... ولا الوزراء والقصر
ولا استقلال فى بلد ... به العادون قد قروا
معاقله لهم حصن ... ونحن لجندهم أزر
ولولا أننا شيع ... يحارب شطرنا الشطر
لما أضحى لهم ظل ... ولا أمسى لهم ذكر

* * *

كفى ما مر من جهل ... أباه الدين والفكر
ومن خلف إذا استعصى ... دواه فإنه القبر
لنصبح واحدا فردا ... فلا زيد ولا عمرو
فنحن الكل إخوان ... لنا مصر، لنا مصر



منبر الشرق ١٧/١٠/١٩٥٢

عودتى بعد هجرتى

مهد الغاياتي لقصيدته بقوله «وجدت بعد أن مرت خمس سنوات على الحكم علينا فى قضية «وطنيتي» أننا طلبنا، وقد سقط قانونا هذا الحكم، أن نعود إلى مصر زائرين لنرى الأهل بدمياط، ونقضي بعض الشؤون الصحفية فى القاهرة والإسكندرية وفي منطقة قناة السويس، وكان معنا تفويض من بعض الصحف اليومية الكبرى بجنيف لنوافيها برسائلنا من مصر مدة إقامتنا بها، وقد بينا كل ذلك للمسئولين عند تقديم الطلب، فخابروا من بيدهم الأمر في الحكومة المصرية وجاءهم الرد بالموافقة، فغادرنا جنيف ميممين شطر الوطن يوم الخميس ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ وقبل الرحيل بيومين اثنين نظمنا قصيدة بدأناها بشيء من الغزل وغير الغزل، وعبرنا فيها عن حالنا الخاصة والحال العامة إذ ذاك، وكل معنى من معانيها، أو مرمى من مراميها يحتاج إلى بيان لا يخفى على قراء ذلك العهد، ونحن لأول مرة ننشرها فيما يلي، وعنوانها «عودتي بعد هجرتي»:

قسما بقدك يا فتا	ة وأنه قسم أبر
ما الغصن داعبه النسيم	فماس مبتسم الزهر
والسمهرى اللدن يعـ	بث بالنفوس وقد خطر
إلا ومن آيات قد	ك فيهما ما قد بهر
خطواته غادرن حبـ	ـات القلوب على خطر
حاولت عند لقائه	حذر الهوى غض النظر
لكن برغمى نظرة	سبقت فلم يغن الحذر

فـــــرأيت فى هـذا القـــــوا م من الرشـــاقـــة مــــا ســـحـــر

ولـــرب لمحــــــــــــــــة نــاظـــر وردت بـــه حــــــيـث الـقـــــدر

* * *

واهـا لخـنـجـــــــــــرك الـذى فـــوق الردينى اســــتـــقـــر

هذا بـخــــافـــــيـــــة الطعـــــا ن مـــــضـى وذاك بـهــــا أقـــر

مـــــوتـان أخــــفـى واحـــــد ســـــرا به الـثـــانـى جـــهـــر

ويـــحــــى ألـــى يـــارب بــيــــ نـهــمـــا فـــؤاد مـــحــتـــضـــر

هلا ارعــــــويت بمـا تـقـــــضـ ى من صـــــبــــابات ومـــــر

ووعـــيـت مـــا هو فى صـــحـــا ئفىَ القــــديمـــة مـــســــتطر

وذكـــــرت مـــــا ذهب الزمـــــا ن بـه مـن العـــــيش الأغـــــر

حـــتى غــدوت على الصـــبـــا أشكـو مـــعــــالجـــة الكبـــر

فـى كـل يـوم مــــــــــــوتـة لـى من تـبــــاريح الضــــجـــــر

عـــجــبى لـهــذا العــيش فـيـــ ـه الموت مـــر ومـــا اســـتـمـــر

من مــــخــــبـــــرى عنى فـــإ نـى لـست أدرى مـــــا الخـــبــــر

أنـا بيـن سـكـان الـقـــــصـــــو ر كـــبــعـض سـكـان الحــفـــر

لـولا فـــــــؤاد خـــــــافـق بـالحب قلت مـــضى العـــمـــر



لله در الحـــب يــــصــــ ـفــو فى مــجــاريه الكـدر
هـو سـلـوة الـقـلـب الحـــز ين وزهـرة القـلـب النـضـــر
لـم يبـق لـى هـم الحـــيـــا ة ســـواه من حـــال تـســـر
غـــادرت أوطانـى فـــأشـ ـقـانى وأسـعـدنى السـفـر
وقـــد انتـــهـــيت إلى جنيـ ـف برحلة فــاضت عــبـــر
وهـجــرت وصـل الشــعــر لما مـــا بت مــضـطرب الفـكـر
واليــــوم يمـت الحــــمى فــوفى القـــريض على الأثـر

* * *

أنـا ذو غـــرام بـالـرشــــا قـــة فى المعــانى والصـــور
ويـلـذ لـى وصـل الـكـتـــا ب كـــوصـل ربات الحـــفـــر
ولـقــد أحـب من الجـــمـــا د كــمـــا أحب من البـــشـــر
فى كل مـــعنى من مـــعـــا نى الحـــسن يحلو لى النـظر
وأجل مـــا أبـغـــيـــه أن أقــــضى من العـلـم الوطـر
لأرى بـــه مـــــــا دق مـن هذا الجـــمــال ومـــا استـتـر
فـالكـون صـفـحـة كـاتب فى طيـــهـــا آى كـــبـــر
والعـلـم قـــارئـهـــا الذى ينبى بما فـــيـــهـــا اسـتطر
فـــإذا علمت فـــدع مـــقـــا لـة كـل كـــــذابة أشـــر
وانـظـر إلى مـــعنى الوجـــو د وذر أســـاطيــر الســيـــر

فـــالـدين بـالعـــرفـــان لا بـصــحــيــفــة ملئت هذر
هذى ســبــيل العــارفــيـ ـن ومن درى فــقــد اعــتــذر

* * *

قـد صـغـتـهـا عـربيـة حــاكـت قـوافـيـهـا الدرر
ورفـعـتـهـا نحـو الحسـيـ ـن وقلت دونك ها عــمــر[1]
أيـامــــه أيـامــــه وكــلاهــمــا بـالنـيـل بـر
هذا مــخـلصــه القــديـ ـم وذاك واقـــيــه الخطر
عــمــر بحــد حــسـامــه وحــســين بـالـرأى الأغــر

* * *

رام العــدا شــرا بمصـ ـر وسـاء مـبـتـدأ الخـبـر
وتـآمــر المتــآمــرو ن وبــئــس ذاك المـؤتمــر
وروت لـنـا «ولـف» أحـــا ديـثـا تصــدقـهـا البـقـر
وتقَــولّوا فى الدين مـــا شـاءت سـيـاسـة من فـجـر
واســتــأجـروا نفـرا يصـ ـيح فكان أشـبـه بالحــمــر
صـــوت يـصـم ولا تـدبـ ـر فى الأمـــور ولا بـصــر
يدعـــو إلى القــرآن تضـ ـليـــلا فـتـلعنه الســور
ويهــيـم حــينا باسم مــصـ ـر وهمـه جـمـع البــدر
بالجــهـل والتــغــرير أو بالطيش والهـوس اشـتـهـر

---

(١) الحسين: هو السلطان حسين كامل الذي تولى حكم مصر في الفترة من ١٩١٤ ـ ١٩١٧ .

ليصبح كما شاءت حما قته فما ضر القمر

* * *

النيل والأهرام قد رفعا لواء المنتصر

وتبادلا صدق الهوى رغم العدو المنتحر

وأتى الحسين فحولت حسناته مجرى القدر

أولى الكنانة ما ترو م من الحماية والظفر

وجرت يداه بالندى حتى استحى منه المطر

أمسى حديث عطائه أحلى أحاديث السمر

وبجوده الزمن الأخير على القديم قد افتخر

من لى بلثم يمينه وهى الرجاء المدخر

فلو أننى قبلتها ما حام حول النفس ضر

أعددتها للدهر لما شمته وقد اكفهر

ومن استجار لدى الخطو ب بعزها فقد انتصر

* * *

مولاى ياسلطان مصر ويا نداها المنهمر

الشوق والأمل المجد ولوعة القلب الضجر

جاءت وقد مضت «السنون الخمس» بالعبد المقر

ولانت أولى بعد تو بته وأجدر من غفر

خدعته خادعة المقال وغره ذاك النفر

ثم انثنى بعد النوى	وتبين النهج الأبر
وجرت يراعته بما	أرضى الصواب وإن أمر
وإليك سار به الجوى	فوفى بدمع منحدر
ووراءه أهل وولـ	د فى جنيف تنتظر
وله بدمياط قلو	ب عيل منها المصطبر
لولا الرجا أودى بها	ما مر من وجد وكر
فأنله مأمول الرضا	فالعفو شيمة من قدر
ورضاك مثل نداك لا	يعدو رجاء المفتقر

* * *

ما للعدا مكروا فنا	ل الويل منهم من مكر
ورجعت مسعود الخطا	ومضى الشقى إلى سقر
الله دون سهامهم	وكفى بربك من وزر

* * *

من رام نيلك بالأذى	نالته مصر بما أسر
بلغتها آمالها	ووقيتها ممن غدر
فلتفدينك نفسها	إن رامك العادى بشر
ولتشكرنك أرضها	وسماؤها فيمن شكر

* * *

منبر الشرق ٢٤/١٠/١٩٥٢

استعطـــاف

يـارئيـس الـديـوان قـــد بعـــثـــتنـى

لمعـــاليـك بـاعـــثــات الـرجـــاء

جــئـت أشكـو الـزمـــان شـكـوى أديـب

نــســبــتــه المنون فى الأحــيـــاء

قـــال أهـلـى وقــد تـنـكـر دهـرى

لــذ بــشـكـرى فــى دولــة الأمــنــاء(١)

فـهـــو بـاب الحــســين بـاب الأمــانـى

وإليـــه انتـــهـت عــلا الـرؤســاء

قـلـت إنــى لائـذ بـحــمــاه

فــحـــمــاه حــمى الـندى والـوفـــاء

كـل غـــايـاتـى عـنـده وهـو عـنـدى

غـــايـة نـلـتـــهـــا مـن الجــوزاء

فـليـــدم فى حظيـــرة الملك مـحـمـو

دا بـرغـم الحــســود والخــصــمــاء

---

(١) العنوان من اجتهادي، وشكري في البيت هو شكري باشا رئيس الديوان السلطاني « السلطان حسين =

كتاب «على هامش الحج»
لعلى الغاياتى
ط أولى ٢٣ مارس ١٩٤٧

فى رحاب النبى[١]

أنا عـــاشق لمحـــمـــد	ولآلـه ولصـــحـــبـــه
وأحب مـــا فى العـــيش عنـ	ـدى ســاعـــة فى قـــربه
ســر الوجـــود هو الحـــبيـ	ـب وقـلبـــه من قـلبـــه
نـــور عـــلـــى نـــور تجـــلـــى	من ســمـــاء مـــحـــبـــه
فـــاخـــشع أمـــام بهـــائه	فـــبـــهـــاؤه من ربـه
لبـــيـــتـــه لما دعـــا	وإذا دعـــاك فـلـبـــه
فـــهـــو البـــشـــيـــر لقـــومـــه	وهو الشـــفـــيـع لحـــزبه
البـــــــــر مـــن آيـاتـــه	وهـــدى الـــورى مـــن دأبـــه
هو رحـــمـــة للكـون طرا	شـــرقـــه أو غـــربه
إنـى وقـــفـت بـــابـه	والـظـهـــر نـاء بـذنـبـــه

= كامل»، والحكاية أن الغاياتى عنـدما جاء إلى مصر ونزل بالإسكندرية عام ١٩١٥، توجه إلى قصر السلطان وسلم شكري باشا قصيدة «عودتى بعد هجرتى» وهى في مدح السلطان، وكان قد جاء من جنيف في مهمة صحفية ولزيارة أهله، وقد استراب رئيس الوزراء حسين رشدى باشا فى أمره، فأمر باعتقاله، وسجن في قسم محرم بك، ومرت عليه عدة أيام ولم يطلق سراحه، فأرسل هذه الأبيات من سجنه إلى شكرى باشا ليعطف عليه ويخلصه من هذه الورطة.

(١) العنوان من اجتهادى.

ناديتــه مــســتــشــفــعــا فــقــضى لبــانة صــبــه

ورجــوت عــز المسلمــيـ ـن بهــــديه وبطبـــه

فــدعـــا مــعى ملك الملو ك لهم إذا اعــتــصــمــوا بـه

أحـــبـــابه فـــإذا انقــضى عــمـرى انقــضى فى حــبــه



مؤلفات لصاحب الدراسة

- الديوان المجهول لخليل مطران – دار الفرجانى ١٩٨٥.
- «ما هنالك» من أسرار بلاط السلطان عبدالحميد ـ تحقيق ودراسة المركز العربى للإعلام والنشر ١٩٨٥.
- صبرى السربونى – سيرة تاريخية وصورة حياةً ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٦.
- فصول من الصحافة الأدبية – دار الفرجانى ١٩٨٩.
- على أدهم بين الأدب والتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.
- قبس من وحى التراث – دار الفرجانى ١٩٩١.
- الهلال مائة عام من التحديث والتنوير دار الهلال ١٩٩٢.
- جرجى زيدان – «سلسلة نقاد الأدب» الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢.
- محمد لطفى جمعة فى موكب الحياة والأدب – عالم الكتب ١٩٩٣.
- محمد صبرى «سلسلة نقاد الأدب» الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.
- ليلة باسمه فى حياة مى – دار الفرجانى ١٩٩٦.
- سيم العشق والعشاق – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٠.
- بيلوجرافيا أعمال محمد صبرى السريونى – المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣.
- محمد لطفى جمعة دراسة بيليوجرافية ٢٠٠٥.

● أفراح ملوك ورؤساء مصر من محمد على إلى محمد حسنى مبارك مكتبة جزيرة الورد ٢٠٠٧.

دراسات مطولة تصدرت بعض الكتب

● تذكار الصبا ـ لمحمد لطفى جمعه ـ عالم الكتب ١٩٩٩

● حوار المفكرين – رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفى جمعة – عالم الكتب ٢٠٠٠.

● المروءة والوفاء «مسرحية شعرية» للشيخ خليل البازجى الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٦.

● على بك أو فيما هى دولة المماليك «مسرحية شعرية» الطبعة الأولى المفقودة – الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٧.

● ديوان وطنيتى وأشعار أخرى لعلى الغاياتى – مكتبة جزيرة الورد ٢٠١٠.



المحتويات